

مكتبة الأسرة
٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

إبراهيم عبد العزيز

أيام العمر

رسائل خاصة بين طه حسين
وتوفيق الحكيم



روائع السيرة الذاتية

منتدی سور الانزبکیہ

WWW.BOOKS4ALL.NET

أيام العمر

أيام العمر

رسائل خاصة
بين طه حسين وتوفيق الحكيم

إبراهيم عبد العزيز



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣
مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك
(سلسلة روائع السيرة الذاتية)
إشراف: د. سهير المصادفة

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

أيام العمر

إبراهيم عبدالعزيز

الغلاف

والإشراف الفني:

الفنان : محمود الهندي

الإخراج الفني والتنفيذ:

صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعي:

محمود عبدالمجيد

المشرف العام :

د. سمير سرحان

على سبيل التقليد:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلا بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتسم عطرها ربيعاً للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهداً ووعداً ليس لنا إلا الوفاء به لنثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د. سمير سرهان

الافراد

إلى أخى أبو رزمة ..

التي طال انتظاره وشوقه إليها ...
حتى جاءت بعد صبر لا دأت ينقد
لولا أن الله قد صدق وعده
« فإني مع السريرا إن مع السريرا »
فلنكن له يسرا من اليسر، ورحمة
من الرزمة فقرّ بلا عيون والديلا
الحرف

أيامُ العمر

رسائل خاصة
بين طه مدين وتوفيق الحكيم

«... جمعنا أجمل أيام العمر،
كما جمعنا الفكر على
صفحات كتاب...»

توفيق الحكيم

مقدمة

على مدى التاريخ الأدبي العربي الحديث أثناء قوته وزهوه وغنائه يمكنك أن تستخرج علاقة صداقة أدبية ، يمكنك أن تجد لها نموذجاً يعبر عن تلك الصداقة وعمقها وأثرها ونتائجها بين عملاقين من عصرها وبينتهما ، يمكنك أن تشير إلى طه حسين وتوفيق الحكيم كمثال ونموذج وتطبيق لهذه الصداقة الأدبية على الرغم من أن أوجه الاختلاف أكثر من أوجه الاتفاق بين الشخصيتين ، وأسباب الخلاف أبعد من أسباب الالتقاء ، وحجم الدور ونوعيته وتأثيره في الحياة الأدبية والثقافية يختلف بينهما . ولكن عصرًا رائعًا جمعها هو عصر النصف الأول من القرن العشرين ، ومكانا أروع من العصر نفسه جعلها يلتقيان ، هو : مصر التي يحار المرء كيف اجتمع لها في عصر واحد وجيل واحد من أسباب القوة الثقافية والأدبية والفنية ما لم يتوفر لها في عصر من العصور بمثل هذه القوة وهذا الثراء الذي لانزال نتفنى به حتى الآن ، وإن كان البعض يرجعه فيها يرجعه من أسباب إلى ثورة ١٩١٩ التي صهرت الشعب المصري كله نحو أمل واحد ، وهدف واحد ، هو التحرر من قبضة المحتل الإنجليزي الجاثم فوق القلوب والصدور حتى استحلال هذا الضغط فوق تلك القلوب وتلك الصدور إلى قوة أطاحت بكل ضغط ، معبرة عن نفسها كاشد ما يكون التعبير في الثورة على كل القيود السياسية والاقتصادية والفنية والأدبية والاجتماعية .

سعد زغلول وصحبه ومن أتى بعدهم يسعون إلى التحرر الوطني .
طلعت حرب يعمل على الاستقلال الاقتصادي .

مختار يعيد مجد النحت المصري القديم متطلعا إلى « نهضة مصر »
مجسدا إياها في تمثال نابض بالروح لا يرال قائما أمام جامعة القاهرة
داعيا إلى تجديد تلك النهضة كلما خلت صوتها أو انطفأت جذوتها .

مصطفى كامل الفمراوى يدعو الى انشاء جامعة مصرية فيليبى
المصريون النداء .

قاسم امين يدعو الى تحرير المرأة نصف المجتمع فتستجيب هدى
شعراوى وصويحباتها ليكون اول خروج للمرأة للمشاركة فى احداث
الوطن من خلال مساهمتها فى ثورة ١٩ .

سيد درويش يؤسس مدرسة مصرية غنية فى الغناء والموسيقى
معبرة عن هموم واحلام طوائف الشعب التابعة فى الظل لكى تقوم بلبية
نداء مصر .

لطفى السيد ينادى بمصر للمصريين ويحتضن شباب النهضة فى
(الجريدة) .

العقاد يقف فى البرلمان مندداً بمالك اكبر راس فى البلاد غير علمه
بالمواقب .

وعلى عبد الرازق يتصدى لريغبة ملكية فى وراثة الخلافة ، مغلداً
بطلان تلك الرغبة فى كتابه « الاسلام واصول الحكم » .

طه حسين يمزق غلاف التقاليد الادبية السميكة وينشئ منهجاً
جديداً فى النقد والادب تأسس بكتابه « فى الشعر الجاهلى » ، بينما
اعتبر النائب الذى حقق معه وهو « محمد نور » ان قضية طه حسين
قضية تكفير لا قضية تكفير .

توفيق الحكيم يؤسس فن المسرحية فى الادب العربى .

وفى كل مجالات الحياة حتى الرياضية منها ستجد ان النهضة قد
انعكست على كل مناحى الحياة المصرية، ووجدت صداها فى العالم العربى
لتحدث وعياً متنامياً مزق المعباء العثمانية التى نام فيها العالم العربى
لسنوات طويلة حتى ايقظه منها الامماني ، والطهطاوى ، ومحمد عبده ،
لتشيع اليقظة بعد ذلك مؤتية ثمارها على مر السنوات التالية لتفتح ثورة

شعبية بصرف النظر عن نتائجها السياسية فقد كانت نتائجها الاقتصادية والثقافية والفنية والأدبية والاجتماعية أعبق أثرا وأشد خطراً في بعث روح الشعب ونهضة الأمة .

★ ★ ★

ولكن تظل حيرة المرء قائمة : هل الثورة الشعبية أو مناخ الثورة هو المفتاح الذى نجر كل هذه الطاقات وأظهر لنا كل هذه الرموز في تلك المرحلة ، فيما يعزى الفضل فيه الى ثورة ١٩ ؟

وهل يعنى ذلك انه لا توجد سوى الثورة وسيلة لكى تنهض وتبرز لنا مواهب تلك النهضة ؟ أم هى الصدفة القدرية البهجة التى جمعت في هذه الفترة من تاريخ مصر ، كل هذه المواهب والعبقريات ليتواكسب ظهورها مع الأمل فى الحرية لتعبر عن نفسها بثورة بدأت سياسية وانتهت لتشمل كل أرجاء الحياة على أرض مصر فاستحالت الى حياة غير تلك الحياة التى سبقتها ؟

فى يقينى أن الثورة الشعبية الباهتة من هدف نبيل هو التحرر من كل صنوف القهر والطغيان ، قد تكون سببا من الأسباب ، ولكنها حتما لن تكون السبب الذى يعزى اليه كل الأسباب .

ولكنه المناخ الملائم الذى يرعى الموهبة ويدفع بها الى النمو والنضج هو السبب بل هو أكثر الأسباب قبولا فى المساعدة على ظهور المواهب ، والا فقل لى لماذا لم يظهر مجدى يعقوب وذهنى نراج (نابغتا الطب) ، وفاروق الباز (نابغة علوم الفضاء) وغيرهم كثير فى مجالات كثيرة) فى بيئة غير بيئتهم ومناخ غير المناخ الذى ظهوروا ونشأوا فيه .

لا شك أن هناك خلافا فى منظومة حياتنا قد أودى بالعشرات من تلك المواهب الا من ساعدته قدراته على الإفلات الى حيث يجد البيئة الصالحة والمناخ الصالح لنموه ونموه وظهوره .

وأجدنى الخس كل العوامل التى تحول دون ظهور مواهب متعددة فى شتى مجالات حياتنا (التى لا شك أنها تقدمت ثقافة وتعلما ووعيا

في نهاية القرن العشرين عما كانت عليه في بداياته) في كلمة واحدة هي « الانانية » والا نقل لى أى كلمة أخرى أكثر تعبيراً عن هذا الفقر في المواهب الذى طبع حياتنا التى لا شك انها حياة أغنى واقدر واخصب عما كانت عليه في مطلع القرن العشرين الذى كانت علامته وشماره وملركته المسجلة البغيضة (الفقر . الجهل . المرض) .

فان نحن الآن من هذا الثلاث اللعين تفسيراً لغياب المواهب ، الا ان تكون حياتنا قد استبدلت بهذا الثلاث غير المقدس شيئاً اقبح واسوأ منه الا وهو (الانانية) التى تجعل كل من كان في موقعه حريصاً على الاستئثار بهذا الموقع مدى الحياة غير متيح الفرصة لآخرين يخلفونه ويتدربون على ممارسة مسؤولياته ، كانه سيعيش ابداً ، مما جعل المسؤولين يعتقدون بالفعل الا مواهب غير تلك المواهب التى يمثلونها ، وان ما بعدهم خراب ودمار وانهيار ، مما حركهم ليسنوا قوانينا في المجالس التشريعية يبيع المد ، اعواماً أخرى فوق الستين التى حددتها القوانين لنهاية مدة الخدمة ، وراح نواب الشعب يبررون قلة حيلتهم أمام اصدار هذا القانون لعدم وجود أجيال أخرى على نفس الدرجة من الكفاءة والموهبة !!!

لقد بحثوا عن الحل المؤقت ، وقوانين تسكين المشكلة دون ان يبحثوا عن اسباب المشكلة نفسها ، ودون ان يسألوا عمن يكون السبب في عدم ظهور جيل جديد كفاء قادر على تحمل المسؤولية .

وهل بعد تحشين المشكلة وتقنينها يمكن لاي مسئول في أى موقع انتاج ، او صحافة او ثقافة ان يسمح بظهور شاب له من المواهب والكفاءات ما يؤهله لكى يحل مكانه ؟

لقد كان جيل الرواد كباراً في نفوسهم ، وكباراً في مواهبهم ، ولذلك كانت سماعتهم بالغة حينما يرون أجيالا أخرى لديها الموهبة والقدرة والاستعداد نيؤهلونها لكى تأخذ مكانها وتبلغ مكانتها .

لقد كان السقف عالياً يسمح لمن لديهم القدرة على النمو والنبوغ بأن يكبروا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، كل حسب قدراته ومواهبه .

وكان هؤلاء الرواد كباراً لا يلقونهم أن يكبر الآخرون ، ولا يزعجهم أن ترتفع قمة أجيال جديدة ، لأن نفوسهم كبيرة ومواهبهم كبيرة ، ونفوسهم خالية من الأنانية التي هبطت بسقف حياتنا المعاصرة حتى أصبح في حكم المستحيل أن تنمو موهبة موهوب ، لأن الالتزام ، حوله لا تطبق إلا أن ترى نفسها هي صاحبة الوجود الذي لا وجود ينافسها ، حتى لو كان وجود الالتزام « هلامياً » وموهبتهم « زائفة » وكفالتهم وهمية ، « فالالتزام » لا تحب إلا أن يكون من حولها « التزاماً » مثلها بل أقل منها حتى لا يبدو في الصورة غيرهم ، ولا يظهر على الشاشة سواهم ، فيشيعون جواً من الاحباط حولهم ، ويبنسون الأجيال من بعدهم ، تموت فيهم روح الموهبة ، وتقتل في نفوسهم أي قدرة على الابداع ، ليصير الجميع « موظفون » لخدمة لقمة العيش ، فلا مكان لموهوب ، ولا مكان لموهبة إلا تحت الثرى لا فوق الثرى ، فليحتفظ الموهوب بموهبته لنفسه ، لا حاجة لنا بها ، خذ مكانك في وظيفتك حسب مؤهلك ودورك ، وإذا لم تكن تجيد صناعة النفاق والزلفى لرؤسائك فسوف يضيع حقك وتحرم منه ويسبقك اليه أهل الخطوة والقربى وحيلة المباخر ، وما سحر الجوخ وأهل النفاق ، وإذا تجرات مطالباً بحقك فانت مشاغب معوق للعمل ، وحاقق ولا بد من عقابك ، وإذا كنت متبرداً لا تقبل الظلم ولا تستكين إلى الضيم وثابى مصاحبة الرضى بال مكتوب والمقدر ، تصبراً بواقع الحال ، ولجات إلى حصن العدالة وميزان القضاء ، فليطل الله في ميرك وليطل في عمر ورثتك !



ليست هذه دعوة لليأس ، ولا اشاعة للاحباط ، والا فليقتل لى من يتهمنى بذلك ، وليجبنى :

هل نضبت حياتنا من المواهب وخلت من الكفاءات الى هذا الحد
المجذب المقتر كما هو ظاهر لنا ؟

والا فليقتل لى قائل وليجبنى أن استطاع :

هل يوجد في مجالنا الذى يهمنى الآن من يفتح أبواب صحيفة يديرها
لشباب موهوب كما فعل لطفى السيد في (الجريدة) مع طه حسين ،
ومحمد حسين هيكل ، وغيرهما ؟

وهل يوجد مثل الزيت في (الرسالة) يتلقى ابداعات الشباب فينحى
اسماءهم جانباً ليكون الحكم على الابداع من الابداع نفسه لا من اسم
صاحبه وشهرته حتى لو كانت شهرة فارغة مما يوصم به مجتمعنا
الأدبى ، وحياتنا الثقافية ، الآن ، التى عرفت « الشلية » طريقها
إليها ، وما كان الابداع ، وما كانت الثقافة ، ولا كان الأدب قبل الآن
يعرفها .

وهل كان يمكن لاسماء كطه حسين ، والعقاد ، وتوفيق الحكيم ،
ان تظهر في مناخ كهناخنا هذا ، وان تبرز في بيئة كبيتنا هذه ؟

لا يقل أحدكم ان الزمن قد تغير ، وان الظروف قد صارت غير
تلك الظروف ، فالظروف الآن أفضل ، والزمان الآن أفضل ، فلا تعيبوا
الظروف ، ولا تعيبوا الزمان ، فالعيب علينا ، وما لزماننا عيب سوانا ،
والا فدلونى الآن على واحد من الأدباء يتهج بظهور أديب جديد
ويتسجد به ويقدمه للناس ويساهم في شهرته ؟

لقد وجدنا هذا يحدث في زمن خلا من الشلية والانانية ، فظهر
الأديب الشاب « توفيق الحكيم » بقصته « اهل الكهف » ، بل لقد
ظهرت القصة دون ان يظهر صاحبها لأنه كان لا يزال يعمل وكيلاً للنبالة
« بدمهور » في مطلع الثلاثينيات ، لتحدث القصة دويها الذى لم يكن
يتوقعه صاحبها نفسه ، فيكتب الشيخ مصطفى عبد الرازق في جريدة
« السياسة » مثنياً على « اهل الكهف » وما فيها من خيال موفى ،
وفكر مستقيم ، وذوق مستقيم .

وكتب « المازنى » في صحيفة « البلاغ » منوها ، ثم ساخر في
محاضرة أدبية :

ان مؤلف « اهل الكهف » هو نفسه من « اهل الكهف » ، لأنه لم
يكن قد ظهر بعد بشخصه في المجتمع الأدبى .

وتناول « العقاد » « أهل الكهف » باهتمام وتقريظ .

وتوالى كبار الكتاب يحتفون « بأهل كهف الحكيم » الذى عومل بسببها معاملة كبار الكتاب فى مجلة « الرسالة » ، غير أن كلمة طه حسين كانت هى القول الفصل الذى دشن لتوثيق الحكيم شهرته ، ووضع فى مكانه الصحيح باعتباره فاتحا لباب جديد فى الأدب العربى ، وباعتبار « أهل الكهف » فتحا للكتاب فى باب التمثيلية الأدبية .

ومنذ ذلك الحين نشأت بين الأدبيين علاقة وصداقة قلبا نجد لها نظيرا الآن إلا لارتباط المصالح والمنافع المتبادلة من باب إذا كتبت عنى سأكتب عنك ، وإذا كتبت عنك فما هو حجم الفائدة التى ساجفئها من ورائك ، وما هى قيمة النفع الذى سأحققه من ورائك معنويا أو أدبيا أو ماديا ، وما دخل فى باب الاستثناء عن تلك القاعدة أنها يؤكد القاعدة ولا ينفيها .



ويحلون لنا فى ظل هذا المناخ غير الصحى السائد أن نعود لننظف مناخا آخر فى مطالع هذا القرن وبواكير عقوده الأولى لنتعرف على طرف من أجواء ذلك المناخ الصحى فى علاقة الأدباء ببعضهم ، وسيكون اختيارنا لهذه العلاقة الأدبية من خلال طه حسين وتوثيق الحكيم رغم ما شاب تلك العلاقة من تنافس أحيانا ، وغيره أحيانا أخرى ، وغضب وفثور أحيانا ثالثة .

غير أن كل ذلك قد سقط فى حساب التاريخ لتظل مدلولات تلك العلاقة وتلك الصداقة لتعطيها التغيرات البشرية طعم ولون تلك العلاقات الإنسانية التى لا تخلو منها أى علاقة بشرية لا تدوم على حالة واحدة ، ولا تسير على وتيرة منتظمة ، ولكن تبقى العلاقة الأدبية هى أغنى تلك العلاقات الإنسانية وأثراها وأكثرها دلالة على العصر والبيئة والتاريخ .



ولنعد الآن الى مطلع هذا القرن لنتعرف على موقع طه حسين
وتوفيق الحكيم من عصرهما .

كان طه حسين اسبق في الميلاد واسبق في الظهور واسبق في
الاثر الادبى ، واسبق الى اشهار شهرة قرينه في الادب « توفيق
الحكيم » .

وعلى الرغم مما بين الاديبين من اوجه الاختلاف الا ان اجتماعهما
على حب الادب قد وفق بينهما فتصادقا وتراسلا وأنشأ « القصر
المسحور » بعد ان انشأ كلا منهما لنفسه مكاناً راسخاً في الضمير الادبى .
لقد ولد طه حسين فى ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ م بعزبة الكيلو ، مركز
مغاغة بمحافظة المنيا بصعيد مصر .

اما توفيق الحكيم فقد لحق به بعد هذا التاريخ بحوالى تسع
سنوات ولكن فى الوجه البحرى حيث ولد فى ٩ اكتوبر ١٨٩٨ م بمحافظة
الاسكندرية .

واذا كان طه ح . قد فقد بصره تماما على يد حلاق القرية ،
فان الحلاق كان هو نفسه الذى انتقذ العين اليمنى لتوفيق الحكيم التى
كانت مهددة بفقدان البصر ، واذا كان اهل طه قد اهلوا الطبيب
واطلقوا اليد للحلاق فى علاج عينى ابنهم ، فان اهل الحكيم قد ذهبوا
بابنهم الى الطبيب الذى ينس من علاج الرمد الصدى نصيحهم بالاعتماد
على الحلاق ليفسد له دما ، فجاءوا « بعلى النوام » الذى سهر على
عين الحكيم يغسلها له بالمطهرات حتى زال الخطر .

فكان حلاق « الحكيم » سببا فى انتقاذ عينيه ، وكان حلاق « طه »
سببا فى ضياع آخر أمل فى انتقاذ عينيه فانقدها آخر بصيص من النور .
واذا كان طه حسين قد ثار على الازهر وعلومه الجامدة وشيوخه
التقليديين حتى وجد فى الجامعة مبتغاه ومطلبه ، فان الحكيم قد ثار
على دراسة القانون ودكتوراه القانون .

وبينما عاد طه من باريس حاملا الدكتوراه في الآداب ، فقد عاد
توفيق الحكيم من باريس حاملا صناديق من الخشب مملوءة بكتب الفن
والادب والثقافة ليلبس اهله الهم والغم والأسى وهم من حوله يتهايمسون :
ياخييتنا . ياخييتنا .

وذلك بعد ان فشل ابنهم في الحصول على دكتوراه القانون التي
أرسله والده الى العاصمة الفرنسية للحصول عليها ، اما طه فقد
أراد ان يدرس القانون الى جانب دراسته للآداب وما أكثر ما لام نفسه
وشق عليها في اللوم لأنه لم يتم ما حاول من دراسة القانون ، ولكنه عاد
على أية حال ليستقبله المجتمع وتستقبله الجامعة فرحة مبتهجة
بإستقباله أجمل استقبال كاول ابن من أبنائها يحصل على الدكتوراه .

★ ★ ★

في باريس كان طه حسين يسكن الحي اللاتيني ، حي الجامعة .
وفي باريس أيضا كان توفيق الحكيم يسكن ولكن في « مونمارتر »
وهو حي رجال الفن .

كان طه محبا للعلم والتحصيل والتفوق في الدراسة والحصول
على أرقى الشهادات الأكاديمية .

بينما كان الحكيم نافرا من الدراسة ، ينجح كيما يستطيع النجاح
ويتخرج كما يستطيع أن يتخرج ، ولهذا عندما ذهب الى إحدى
المحاضرات (*) في « السوربون » ووجد المحاضر يحاضر في تعمق في دراسة
« مولير » ، فخرج من عنده ولم يعد ثانية ، فلم يكن يهه تاريخه
ونشأته ولكن كان يهه عمله .

كان طه أيام شبابه يكره أن يشغل بشيء غير الجد ،
أما الحكيم فكان يشغل نفسه بفرقة عكاشة التمثيلية وما يمرن به نفسه
يدها به ، مما حدد طريقه وحدد خطاه مما لم يستطع الى الأفلات منه

(*) من حوار الحكيم لأمون غريب في آخر ساعة ١٦/١/١٩٨٥ م .

سبيلا رغم محاولة والده أن يبعده عن ذلك المناخ بدراسة القانون في باريس عليه يسلك بعد عودته طريق والده في القضاء ، فاذا بالحكيم بدلا من أن يبعد عن مناخ الفن اذا به يقترب من بيئة للفن أكثر خصوصية واتساعا وثراء فوجد فيها نفسه ليعود مشبعا بالفن وأكثر استعدادا ليكون فنانا ، وان كان قد عمل بعض الوقت وكيلًا للنيابة ارضاء لوالده الذي خاب أمله في حصول ابنه على دكتوراه القانون ، الا أن فن الكتابة المسرحية لم يفارقه طوال الوقت ، فهو كما وصفه طه حسين (في تقديمه للمجمع اللغوي) يؤدي واجبات وظيفته ليخلص من أداء هذا الواجب وليعنى من التخصير ، ولكنه يمنحها أيسر ما عنده ، محتفظًا بخير ما عنده لهذا الفن الذي استأثر به .



كان طه حسين جسراً للثقافة بين الشرق والغرب فيما نقل إلينا من ثقافات اليونانيين وثقافات الأوربيين ، وكان صاحب أسلوب متمتع سهل كالمنفلوطي ، أدبيا مبدعا وناقداً للأدب بروح المبدع لا بروح الناقد — كما وصفه الحكيم (*) — ولذلك كان الحب والكره يدخل في تقييمه لمن ينتقدهم وليس أدل على ذلك من تقديمه لحافظ على شوقي حين تعرض لهما في كتبه (حافظ وشوقي) .

وكان الحكيم فنانا مبدعا عرف الفن وتذوقه ، من اتصاله بالفنانين منذ صباه حين عرف عالم عوالم الفرع ثم صادق الفنانين في شبابه ، مما لم يتح لطه حسين بسبب ظروفه الخاصة فلم يستطع أن يتذوق الفن الا من طريق وسيلته في الدرس والقراءة والتحصيل ، ولكن فضل طه حسين أنه كان رائداً من رواد النهضة الأدبية والنقدية بل هو مؤسسها فيما غير به مناهج النقد بثورته (في الشعر الجاهلي) ، كما كان رائداً من رواد العلم والثقافة والتنوير.

وكان توفيق الحكيم مؤسساً لفن المسرح التمثيلي كجانب من أبواب الأدب إضافة للأدب العربي ، فكان رائده الذي أحيا به المسرح وأنواره بعد أن كان قد مات وانطفأت أضواؤه أو كادت ، حين عاد من باريس ،

(*) المصدر السابق .

لتعود بعودته أضواء المسرح الى الظهور كفن محترم في باب الأدب وفي باب التمثيل ، تقبل شهادة أصحابه باعتبارهم فنائين محترمين لا مشخصاتية ، كما كانوا يوصون ويوصفون به .



لقد استطاع طه حسين أن يحفر لنفسه مكانا مرموقا بين ادباء عصره ، قبل أن يحفر توفيق الحكيم لنفسه مكانا مرموقا ايضا بين هؤلاء الادباء كاديب فنان ، حتى أن الحكيم كان قد سمع باسم طه حسين قبل أن يسافر الى باريس في مهمته الفاشلة للحصول على دكتوراه القانون .

يقول في سيرته الذاتية (سجن العمر) :

بلغ بسمي أن شابا ازهريا مكفونا نابغا يهاجم بمقالاته العنيفة علماء الأزهر المتجمدين دون أن يخطر لي على بال أنه بعد نحو عشرة أعوام ستنشأ بيني وبين هذا الأزهرى النابغة صداقة . وسنفرح معا على جبال الالب ونسجل معا مرحنا في كتاب « .

أما كيف بدأت صداقة طه حسين وتوفيق الحكيم ؟ فان الحكيم قد تجاهل هذه البدايات في سيرته الذاتية ، ولم يشأ طه أن يتحدث عنها ولكنه علق على ذلك في معرض تقديمه وعرضه لتلك السيرة قائلا : (*)

« وأنا أشكر للكاتب اشارته الى وذكره أننا صرنا صديقين ، ولكنى لا أدري لماذا لم يبين كيف صرنا الى الصداقة ، ومن يدري لعل ذلك لأن طبعه اكبر من موهبته ومن جهده ومن أمله معا » .

وكان طه حسين يشير بذلك الى ما يقوله الحكيم عن نفسه من أن « أمله اكبر من موهبته ، وأن موهبته سجينه طبعه الذى ورث اكثره عن أبويه » .

(*) اخبار اليوم ٣٠ يناير ١٩٦٥ .

فيرد عليه طسه « ان امل كل كاتب اكبر من جهده ، وان هذه هي
مزية الكاتب الجدير بهذه الصفة ، كما انها مزية الشاعر الممتاز والفنان
البارع بوجه علم ، وويل للاديب الذي يكون امله على قدر جهده ، فهذا
الرجل ليس من الانب الحق في شيء ، وانما هو الاديب المتكلف ،
والمكلف لما لا يحسن ولما لم يخلق له » .



اما كيف بدأت صداقة الأديبين الكبيرين ، وامتدت الى ما وصلت
اليه ؟ فهذا ما سنحاول الاجابة عليه في الفصول التالية مستعينين في
ذلك بما بين ايدينا من بعض الوثائق .

طَه حُسَيْنٌ يَخْشَى بِأَهْلِ الْكَهْفِ
وَتَوْفِيقِ الْحَكِيمِ يَهْرُبُ مِنْهَا!

د... لم أتردد في إعلان أسف،
لأنّ الأسماء توفيق الحكيم لم يكن
حاضراً (....) ولكن أثبتت أنه
قد أثر الفرار من هذه الموقعة التي
كانت بينه وبين جمهور النظارة...»
طه حسين

(١)

في نهاية تعليق طه حسين على السيرة الذاتية لتوفيق الحكيم
« سجن العمر » الذي صدر عام ١٩٦٤ ، سوف نكتشف سر المشكلة
بينهما والتي بدأت ظاهرياً بعد اصدار الحكيم لرائعته « اهل الكهف »
١٩٣٣ ، يقول طه حسين موجهاً حديثه الى توفيق الحكيم في لهجة تحمل
الكثير من السخرية والعتاب (*) :

« وانا على كل حال اهدى الى الكاتب الصديق تهنئة خالصة
وشكراً جميلاً لانه تفضل فلم يرسل لى كتاباً من كتبه منذ سنين ،
فله الشكر ، وان كنت ارجو ان ياذن لى في ان آخذ شيئاً من هذا
الشكر لاهديه الى الصديق الكريم الذي اعارنى هذا الكتاب !! » .

★ ★ ★

فرغم صداقة الأديبين الكبيرين الا ان الحكيم لم يهد طه كتابه
« سجن العمر » ومع ان ذلك كان يقتضى من طه ان يتجاهل الحكيم
وكتابه الا ان طه قد حصل على الكتاب وعلق عليه محبا ومحتفياً ،
وهذا يبين احدى صفات طه حسين عميد الادب العربى المحب
للموهوبين ، الحريص على تقديمهم والاحتفاء بهم سواء رغبوا في ذلك
ام لم يرغبوا ، ومن ذاك الذى لا يرغب الا « توفيق الحكيم » الذى كان
لا يرغب او ييذى انه لا يرغب او يزعم انه كذلك ، او كما وصفه طه

(*) السابق .

حسين بأنه « مصنوع متكلف ، متعمل ، بعيد كل البعد عن الحياة الطبيعية المألوفة ، والناس يعرفون منك صورة ليس بينها وبين شخصك الحقيقي صلة من قريب او بعيد » .

هكذا خاطب طه حسين ، توفيق الحكيم ، بوضوح لا يعرف التكلف او التصنع حين قدمه لجمع اللغة العربية ، وهى سنة استنها العميد وصارت تقليداً من تقاليد المجمع ، وهى تتفق مع سيرته فى تقديم الموهوبين والاحتفاء بهم سواء كانوا مجهولين فى بداية ظهورهم او مثاقين يعد أن صاروا نجوماً .

وحين ظهرت « اهل الكهف » التى طبعها توفيق الحكيم على حسابه أحدثت دويها ، وعلق عليها كبار الكتاب ما عد اطله حسين الذى لم يكن قد ظهر بعد ليدلى بدلوه فى « اهل الكهف » .

فلماذا كان صمته ثم لماذا كان تعليقه وترحيبه الذى فاق كل تعليق وكل ترحيب ؟

الاجابة يقدمها لنا توفيق الحكيم نفسه فى كتابه « وثائق من كواليس الادباء » ، فيقول :

« كل ذلك وطه حسين ساكت متريص ، وفى ذات يوم بادرني صديقى المرحوم الدكتور « حلمى بهجت بدوى » ، وكان يومئذ من أعضاء هيئة التدريس بكلية الحقوق ، بقوله : ان الدكتور طه حسين الذى كان يزامله فى مجلس ادارة الكلية (كانت الآداب والحقوق آنذاك يجتمعها مجلس ادارة واحد) قال له : ساكت عن صديقك وسيكون لى معه حساب عسير !

فقلت لحلمى : ارجوك ابعده عنى هذا الرجل .. الكتاب الآن قد كتب عنه بما فيه الكفاية ، والمطبوع من الكتاب قد نفذ .

ولكنه لم يتمكن من صرف طه حسين من الكتابة . واذا بمجلة « الرسالة » التى كان يحرر فيها طه حسين باب نقد الكتب يظهر فى

منتصف شهر مايو وفيها مقال متخصص عن كتابين معاً . الكتاب الأول : رواية باللغة الفرنسية لادبية لبنانية اسمها « ايمى خير » بعنوان « سلمى وقربتها » ، والكتاب الثانى باللغة العربية وهو « أهل الكهف » واستهل مقاله بقوله : انه يتنى للكتاب الاول أن يترجم الى العربية ، والثانى الى الفرنسية ، ثم كتب يقول :

أما قصة « أهل الكهف » فحدث ذو خطر لا أقول فى الأدب العربى العصرى وحده بل أقول فى الأدب العربى كله ، وأقول هذا فى غير تحفظ ولا احتياط ، وأقول هذا مقتبطاً به ، مبتهجاً له ، وأى محب للأدب العربى يغتبط ويبتهج حين يستطيع أن يقول وهو واثق بما يقول أن فناً جديداً قد نشأ فيه ، وأضيف اليه ، وأن باباً جديداً قد فتح للكتاب (يقصد باب التمثيلية الادبية) وأصبحوا قادرين أن يلجوه وينتهوا منه الى أمام بعيدة رقيقة ما كنا نقدر أنهم يستطيعون أن يفكروا فيها الآن .

أما الحساب العسير الذى وعد به طه ، الحكيم ، فكان عبارة عن غلطة نحوية ، قال عنها الحكيم : لعلها كانت مطبعية !

★ ★ ★

وكان من الطبيعى أن يغتبط توفيق الحكيم بهذا الاطراء وذلك للتقريظ ، شاكرًا لطفه حسين أنه وثق له شهادة ميلاده كأديب فى دنيا الأدباء ، الا أن الحكيم فاجأ طه بانكار الفضل الذى نسب به اليه كمؤسس للتمثيلية الادبية ، واختلف معه حول أن يكون هو صاحب الفضل فى فتح هذا الباب فى الأدب العربى كله ، وعاد بالفضل فى ذلك الى اديب ادباء العربية الكبير « الجاحظ » .

يقول الحكيم (*) : « وجدت عنده كلاماً كالحوار التمثيلى ، لم أر مثله حتى فى كتاب « الأغانى » من حيث الشكل والتصوير العاطفى ، وقد بدا لى وقتذاك — اوائل الثلاثينيات — أن أنقل هذا الحوار على شكل « منظر صغير » جعلت عنوانه « الفراق » ولم أسه بأى تغيير فى الألفاظ والمعانى والشخصيات حتى يبقى الفضل « للجاحظ » وللأدب

(*) حديث الثلاثاء - الامرام ١٩٨٥/١/٢٢ .

العربى .. وفى الحق انه حوار يذكر بحوار اديب فرنسى رشيق جاء بعد « الجاحظ » بعدة قرون هو « الفريد دى موسيه » فى كوميدياته وأمثاله .. وعناصر كل نوع من أنواع الادب والفكر موجودة فيها يبدو لى عند العرب من قديم .. فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونصنفها ونبويبها ؟ لماذا لا نضع مثلاً كل حوار من هذا الطراز فى الشكل التمثيلى على قدر المستطاع كما حاولت فى هذه القطعة ، ونجمع ذلك على انه نماذج تمثيلية من تراثنا فى الادب العربى ، او على الاقل باعتبار هذا العمل اعادة الشباب الى الادب القديم بالباسه حلة جديدة دون اى تغيير فى اللب والجوهر والشخصية ، محافظة على ذلك الادب القديم .. اذا صح هذا فان مجال العمل فى تراثنا الادبى متسع ولن تفرغ منه اجيال قادمة .. اذا اتجه اهتمام الجامعات الى هذا فى مرحلة الدكتوراة بدلا من الاتجاه الى موضوعات عصرية متصلة بأشخاص احياء فيما يشبه ريبورتاجات الصحف ، مما فصل حاضرتنا عن ماضينا .. واصبحت آدابنا المعاصرة كالابناء اللقيطة ليس لها نسب متصل .

واليكم حوار الجاحظ :

الفراق

« المنظر : باب دار كبيرة ، تقف خلف هذا الباب جارية حسناء كأنها قضيب يتثنى ، وهى والهة حيرى واقفة فى الدهليز .. ويقترب من الباب شيخ ، يراها ويسلم عليها فتترد السلام ، بلسان منكسر وقلب حزين .

● الشيخ : يا سيدتى ! انى شيخ غريب اصابنى عطش ، فأمرى لى بشربة من ماء تؤجرى .

— الجارية : اليك عنى يا شيخ ، غانى مشغولة عن سقى الماء وادخال الاجر .

● الشيخ : يا سيدتى لاية علة ؟

— الجارية : لاني عاشقة من لا ينصفني ، واريد من لا يريدني .

● الشيخ : يا سيدتي ، هل على بسيط الأرض من تريدينه ولا يريدك ؟!

— الجارية : انه لعمرى على ذلك الفضل الذى ركب فيه من الجمال والدلال .

● الشيخ : يا سيدتي ، فما وقوفك فى الدهليز ؟

— الجارية : هو طريقه .. وهذا اوان اجتيازه .

● الشيخ : يا سيدتي ، هل اجتمعتما فى خلوة فى وقت من الأوقات ، أم حب مستحدث ؟

— الجارية : (تسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشد :
وكنا كفصنى بلثة وسط روضة

نشم جنا اللذات فى عيشة رغد

فأفرد هذا الفصن من ذاك قاطع

فيا من رأى فرداً يحن الى فرد

● الشيخ : يا هذه ، ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟

— الجارية : ارى الشمس على حائطه أحسن منها على حائط غيره ،
وربما أراه بغتة فابتهت وتهرب الروح من جسدى ، وأبقى الأسبوع
والأسبوعين بغير عقل .

● الشيخ : عزيز على ، وانت على ما بك من الضنى ، وشغل القلب
بالهوى ، وانحلال الجسم ، وضعف القوى ، ما ارى بك من
صفاء اللون ورقة البشرة .. فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء ؟
اراك كنت مفتنة فى أرض البصرة .

— الجارية : كنت والله يا شيخ قبل محبتي لهذا الفلام تحفة الدلال والجمال والكمال ، ولقد فنتت جميع ملوك البصرة وفنتنى هذا الفلام .

● الشيخ : يا هذه .. وما الذى فرق بينكما ؟

— الجارية : نوايب الدهر وأوابد الحداث ، ولحديثى وحديثه شأن الشأن .. وأنبئك امرى : انى كنت اقتصدت فى بعض ايام النيروز ، فامرت بمزين لى وله مجلس بأنواع الفرش واوانى الذهب ، ونضدتا الرياحين والشقائق والمفتور وانواع البهار .. وكنت دعوت لحبيبي عدة من مستطرفات البصرة فيهن من الجوارى جارية « شهران » ، وكان شراؤها من مدينة عمان ، ثمانمائة ألف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت بى ، وكانت اول من اجابت الدعوة وجاعتنى منهن ، فلما حصلت عندي رمت بنفسها على تقضعتنى عضا وقرصاً .. فبينما نحن كذلك اذ دخل على حبيبي ، فلما نظر الينا اشمأز لذلك وصرف عنى وعنهما صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على أنامله وولى خارجاً ، فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين اسل سخيته، واستعطفه فلا ينظر الى بعين ، ولا يكتب الى بحرف ، ولا يكلم لى رسولا .

● الشيخ : يا هذه .. امن العرب هو أم من العجم ؟

— الجارية : هو من جلة ملوك البصرة .

● الشيخ : من اولاد نيايها أم من اولاد تجارها ؟

— الجارية : من عظيم ملوكها .

● الشيخ : اشيخ هو أم شاب ؟

— الجارية : انك لاحق .. اقول هو مثل القمر فى ليلة البدر ، امرد اجرد وطرة رقعاء كحكك الغراب ، تعلو شقرة فى بياض ، عطر

اللباس ، ضارب بالسيف طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد والشطرنج ،
ضارب بالعود والطنبور ، يغن وينقر على أعدل وزن ، لا يعييه
شيء سوى انحرافه عنى ، لا نقصاً لى منه بل حقداً لما رآنى عليه .

● الشيخ : يا هذه .. وكيف صبرك عليه ؟

— الجارية حالى معه حلال القاتل :

أما النهار فمستهام واله
وجفون عيني ساجفات تدمع
والليل قد أرعى النجوم مفكراً
حتى الصباح ومقلتي لا تهجع
كيف اصطبارى عن غزال شادن
فى لحظة عينية سهام تصرع

● الشيخ : يا سيدتى ، ما اسمه وأين يكون ؟

— الجارية : تصنع به ماذا ؟

● الشيخ : أجهد فى لقائه واتعرف الفضل بينكما فى الحال .

— الجارية : على شريطة : تلقانا اذا لقيته ، وتحمل لنا اليه رتعة .

● الشيخ : لا اكره ذلك ..

— الجارية : هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن أبى صفرة ، يكى
بابى شجاع ، وقصره فى المريد الأعلى ، وهو أشهر من أن يخفى
.. « تنادى » : يا جوارى دواة وقرطاساً .

● الشيخ : يا سيدتى وجب حقك على .. ولزمتك حرمتى لطول
وقوفى عليك ، وكنت قد سألت شربة ماء .

— الجارية : استغفر الله .. ما فعلنا عنك . « تصيح في الدار » : اخرجوا
الينا شراباً من ماء وغير ماء .. (تقبل وصيفتان تحملان الدواة
والقرطاس فتشمر « الجارية » عن ساعدين كأنهما طومارا فضة
ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة .. ثم تقبل ثلاثون وصيفة بأيديهن
الكؤوس والجامات والأقداح مملوءة ماء وتلجا وفقاعا وشرابا ..
(فيشرب الشيخ) .

● الشيخ : يا سيدتى .. مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة
الخدم والعبيد والجواري ، فلم لا تأمرين إحدى الجواري أن
تقف مراعية للفلام حتى اذا مر أعلمتك فتخرجين اليه .
— الجارية : لا تفلط يا شيخ !

ويفهم الشيخ مرادها ، ويطرق خجلا من هفوته .
وينتهي المنظر .

★ ★ ★

ويقول توفيق الحكيم انه كان في مقدوره أن يجعل منه فصلا كبيرا ،
ولكنه قصد قصداً أن يتيقن على أصله وبلغته كما صدر عن الجاحظ .
وعندما عرف طسه حسين رأى الحكيم ، ورفضه أن يكون هو
صاحب فضل في الحوار التمثيلي ، وإنما الفضل كل الفضل للجاحظ ،
سخر طسه حسين منه وقال له :

« اتزعم أن « الجاحظ »
عرف التمثيل وحواره » !!

★ ★ ★

وظل الحكيم على رأيه الى أن مات ، وهو مقتنع أشد الاقتناع بأن
تراثنا العربي غنى وعظيم والحمد لله .

أما طسه حسين فظل هو الآخر على قناعته بأن توفيق الحكيم هو
صاحب الفضل الأول في ميلاد فن الأدب التمثيلي في الأدب العربي كله ،

واعاد على مسامحه هذا الرأي وهو يستقبله في مجيع اللغة العربية
سنة ١٩٥٤ حين قال (*) :

« لأول مرة اذن ظهر بيننا كاتب يحاول ان ينشئ فن التمثيل باللغة
العربية ، لا يترجم ولا يقلد فيه ، ولا يتكلف فيه ما كان يتكلف للكاتب
الذين كانوا يحاولون ان ينتجوا في التمثيل ، وانما يقبل عليه كانه خلق
له منذ خلق ، ويتصرف فيه كأنها خلق ليتصرف فيه . وليكون ككاتب ممثلا
لا يظهر التكلف في حرف من حروف هذه القصة ، وانما هي تأتي بسيرة
سهلة كأنها أوحيت اليك (مخاطبا الحكيم) او كأنها ألهمتها الهاما ،
وكانها أرغمت على ان تكتب فكبت ، وكأنها كتبت اداة تتلقى وتنتج . وتؤدي
ما تتلقى فتحسن الأداء ، وكان معنى هذا كله أنك كنت كاتباً ممثلاً
مطبوعاً . فقصة اهل الكهف هذه التي نقرأها فلا نكاد نمضي فيها حتى
ياخذنا الاعجاب ، ثم ياخذنا الامتاع ثم نشغل بها عن غيرها ، ثم نشغل
بها عن كاتبها ، ثم لا نشغل بها عن غير كاتبها بشيء غيرها حتى نفرغ
منها .

(.....) انت كاتب نابه ، بل انت كاتب نابغه ما في ذلك
شك ، قد اجتمع الناس على اكيار منك ، واجتمع على اكيار منك النقاد
منهم وغير النقاد ، واجتمع على اكيار منك الذين يلتمسون الظهر في
الساعة الرابعة عشرة من النقاد مثلي (.....) وقد اجتمع العرب كلهم
على اكيار منك والاعجاب به ، وقد تجاوزت — لا اقول — حدود
وطنك — بل حدود العالم العربي .



ولم يقف الخلاف بين طه حسين ، وتوفيق الحكيم حول حدود
من يكون له الفضل في انشاء فن الادب التمثيلي في اللغة العربية ، بل
تعداه الى سوء فهم بسبب وشاية صديق للحكيم جاءه مبادراً بسؤاله
سؤالا استنكارياً :

هل قرأت مقال طه حسين عن كتابك ؟!

(★) جلسة الجمع في ١٧ مايو .

ولم يتح هذا الواشى للحكيم أن يجيب أو يتحدث في الأمر ، وبأدب
يقول : ان طه حسين خبيث وان بين سطورهِ سمو ما خفية .

ولما كان الجو حاراً والأعصاب متوترة ، فقد اثار هذا الواشى
انفعال الحكيم ، وأمسك في الحال بالقلم وأرسل الى طه حسين
خطاباً مظلماً كاد يقرأ عليه حتى صاح فبين حوله :

سبحان الله .. لقد نشرت مقالا عن الكتاب الذى صدر
لتوفيق الحكيم ليس فيه غير الاعجاب فرد على يشتبني !!

وصارت طبيعة مؤقته بين طه والحكيم ، وعاد الحكيم لقراءة
مقال طه حسين مرة أخرى في هدوء فلم يجد فيه ما يستحق غير
الشكر .

ويندم الحكيم على عجلته في ظلم طه حسين متسائلاً مستكراً :

كيف استطاع ان هذا الصديق — رحمة الله عليه — أن يغير
شعورى ويثيرنى بهذه ؟!



اذن فلقد كانت « اهل الكهف » سبباً في تعارف طه والحكيم رغم
ما شاب هذا التعارف من خلاف في الراى ، وصل أحياناً الى سوء فهم
من الحكيم نحو طه حسين ، ولكننا لم نعرف حتى الآن كيف تعارف
الأديبان الكبيران على المستوى الشخصى ؟

توفيق الحكيم أشار الى صداقته لطه حسين في سيرته الذاتية
« سجن العمر » ، أما طه حسين فقد تساءل : ولكنى لا أدري لماذا
لم يبين كيف صرنا الى الصداقة ؟

وما دام الحكيم لم يشأ أن يفكر كيف صارنا الى الصداقة ، فإن طه
لم يجد مبرراً لكى يجيب عما لم يجب عنه صاحبه .

ورغم أن توفيق الحكيم قد نشر رسائل طه حسين اليه أكثر من مرة إلا أنه لم يشر إلى رسائله اليه وما تحتويه من أجملات على كثير من الأسطلة ، وسنلمح ذلك حين يشير إلى رد فعله على ثناء طه حسين على قصة « أهل الكهف » من الناحية الشخصية حين يقول :

أعجبني مقاله وشكرته في نفسي !

غير أنه بجانب هذا الشكر الخفى الذى يدل على بخل الحكيم المشهور عنه ، سنجد شكراً مكتوباً يدل على كرم الحكيم بخلاف المشهور عنه ، أو هكذا حاول أن يشاع عنه ليتخذ صورة غير صورته ، وليلبس طبعا غير طبيعه مما اكتشفه طه حسين كصديق للحكيم حين أرسل الأخير اليه برقية شكر من « منهور » حيث كان لا يزال يعمل وكيلا للنياحة هناك ، معربا عن تحيته وشكره على مقال العميد عن « أهل الكهف » ، وليس بين أيدينا نص هذه الرسالة الأولى ، ولكن لدينا نص رسالة أخرى تدل عليها ، وليس بينها وبين مقال طه حسين في الإشادة بـ « أهل الكهف » وصاحبها سوى ثلاثة عشر يوماً ، وسوف تكشف لنا هذه الرسالة عن امتنان عميق من الحكيم لطه حسين حين يخطبه بقوله :

« استأننا العزيز »

وحين يبدى حرجه من كثرة رسائله اليه خشية « أن يكون في هذه الرسائل اتفاق لوقتك أكثر مما ينبغى » .

وحين يؤكد الحكيم لطه استحالة أن يكتب أو يفكر في شيء دون أن يعرضه على طه لأن « في هذا أيضاً فائدة لى كبيرة » . وسنكتشف أيضا في هذه الرسالة أنه كان بين الحكيم وطه موعد للقاء بينهما ، ولنترك سطور الرسالة تنشئ بمكوناتها في الدلالة على ميلاد صداقة عميقة بين العميد والحكيم .

يقول نص الرسالة :

منهور في ٢٨ مايو ١٩٣٢

استأنفا العزيز

انى مضطر ان ابعث اليك بهذه الرسالة ايضا وانا اخشى ان يكون في هذه الرسائل انفاق طوقتك اكثر مما ينبغي لكنى كنت يوم الجمعة الماضى فى الاسكندرية بجوار البحر وحيدا فتقدمت « بريسكا » (*) تحدثنى هذا الحديث الرسول اليك لترى راىك فيه . وان من المستحيل على الآن ان اكتب شيئا او ان افكر فى شيء دون ان اعرضه عليك . ان فى هذا راحة لى كبيرة . وان فى هذا ايضا فائدة لى كبيرة .

وحديث « بريسكا » جرا الآخرين فيما يظهر . فانى ارى « مثلينيا » يريد كذلك ان يفضى الى باشياء . و « مرنوش » و « الرامى » حتى الكلب « قطير » . افاسترسل معهم فى احاديث متتابعة . ام ان هذا عمل طويل ولا نتيجة له ؟ سنتكلم فى هذا عند المقابلة . ولقد ظهر نظام العطلة القضائية لصيف هذا العام فكانت من نصيبى اجازة تبدأ فى اول يونيو وتنتهى فى ١٠ يوليو . اربعون يوما اريد ان اكتب فيها شيئا غضلا عن المطالعة . واريد ان امضيها فى الاسكندرية وفى القاهرة ماذا اكتب ؟ مسألة سنتكلم فيها كذلك ان شاء الله .

وارجو ان يقبل الدكتور اطيب تحيتى وعميق احترامى .

توفيق الحكيم



وفى نفس السنة التى اصدر فيها توفيق الحكيم « اهل الكهف » التى طافت بشهرته للأفاق اصدر رائعته الأخرى « عودة الروح » ١٩٢٢ التى استقبل بها توفيق الحكيم فى المجمع اللغوى ، وتستطيع ان تعرف راي طه حسين فيها من خلال كلمته حيث يقول مخاطبا الحكيم :

(*) من شخصيات اهل الكهف وما يليها كذلك من شخصيات .

« ولم تكذ قصة « أهل الكهف » تظهرك للقراء في مصر حتى أظهرتك قصة آخر غير تمثيلية ولكنها أقرب الى التمثيل منها الى القصص ، وهى « عودة الروح » . فأنت فى « عودة الروح » تقص ، ولكنك تمثّل على رغبتك . فالأشخاص أحيانا يذهبون ويجيئون وحياتهم ماثلة أمامنا لا نتحدث عنها ، أولا ينبغى أن نتحدث عنها بالفعل الماضى ، وإنما ينبغى أن نتحدث عنها بالفعل المضارع كما ينبغى أن نتحدث عن أشخاص القصة ، وأن يعملوا وأن يقولوا وأن يأتوا ما يأتون من الحركات التى يأتونها أشخاص القصة التمثيلية . فأنت فى قصصك مثل أكثر منك قاصا .

وكانت « عودة الروح » هذه هى التى حببتك الى عامة القراء ، وإلى عامة القراء الذين يقربون من الشعب ، ولا يسمون الى أرستقراطية التفكير ، ذلك لأنك اقتطعت هذه القصة من حياة الشعب اقتطاعاً .

صورت الحياة المصرية كما يحياها الأوساط من المصريين ، وكما يحياها الفقراء من المصريين أيضاً ، وصورت هذه الحياة المصرية فى كثير من الحب والشغف بها والفناء فيها ، كأنها كنت تصور نفسك ، لأن كل المصريين الذين صورتهم فى هذه القصة يتصلون بك من تريب أو بعيد .

ولست فى حقيقة الأمر الا واحداً من هؤلاء الأشخاص الذين تراهم يتحركون ويذهبون ويجيئون فى قصصك بكثرة ، ثم صورت الحياة المصرية فى وقت دقيق من أوقاتهم حين كان المصريون نائرين بالانجليز ، طامحين الى الحرية ، عامدين الى أخذ استقلالهم من هؤلاء الانجليز عنوة ، ماضين فى إجهادهم لا يلوون على شيء ولا يصدهم هذا عن شيء . يرسلون أبناءهم الى حيث يطالبون بهذا الاستقلال خارج مصر . منهم من يتكلف فى ذلك ما فرض عليه من سجن ونفى ، ومنهم من ينضم الى هؤلاء الذين نسجنوا ونفوا ليصاحبهم فى الجهاد ، وليحتبل معهم انقاله .

والشعب المصرى من وراء هؤلاء جاد كادح . وليس لهذا الشعب قوة ولا ثبات الا ايمانه بنفسه ، وثقته بمستقبله ، واكباره لماضيه ، دون أن يحقق هذا الماضى ودون أن يذكره ذكراً صريحاً ، كما أنه لا يعرف

هذا المستقبل ، ولكنه يؤمن بماضٍ مجيد ، يجهله ولا يكاد يحققه .
وكذلك كان الشعب المصرى حين صورته فى هذه القصة .

والشاهد لقد صورته فأحسنتم تعريفه ، فهو شعب يجهل نفسه ،
وهو على جهله بنفسه يقدر نفسه ، يعرفها فى ضميره الخفى ، ويجهلها
فى ضميره الشعورى . كما يقول استاذنا الرئيس لطفى السيد .

وقد صورت الشعب المصرى تصويراً حسناً .. حين انطلقت بهذا
— فى قصصك — فلك الأثرى .. الخ الذى كان يجادل فيه ذلك المفتش
الانجليزى :

شعب غنى قوى ولكنه يجهل ثروته ويجهل قوته ويجهل نفسه .
والأحداث هى التى تكشف عن حقائقه وتبين له دخيلة أمره ، فإذا
هى دخيلة خسبة تبحث الأمل وتحبى الرجاء .

(.....) وأنا أعرف أنك فى « عودة الروح » قد اصطنعت
لغتين .

اصطنعت لغة عربية نصيحة تحتاج مع ذلك الى شيء من التحرير ،
واصطنعت لغة علمية طبيعية ، ولكنك أثرت نفسك باللغة الفصحى ،
فكنت اذا تكلمت أنت الفصحى ، واذا أردت أشخاصك على أن يتكلموا
أرسلتهم على سجيبتهم فتكلموا فى لغتهم العامية كلاماً عذياً حلوا . وكنت
فى هذا ملائماً لما ينبغى أن يكون عليه الحال حين يريد الكاتب أن يصور
حقائق الشعب كما يجب أن تكون ، أو كما هى فى واقع الأمر .

ولك فى هذا خصوم ، كما أن لك فى هذا زملاء . فزميلنا « تيمور »
قد صنع نفس هذا الصنيع فى أول أمره ثم أعرض عنه الى اللغة الفصحى
الخالصة ، ثم عاد الى اللغتين جميعاً ، واصطنع الفصحى لنفسه ،
واصطنع العامية للشعب .

وما أرى أنك قد بعدت عن هذا المذهب . فانت تصطنع العامية
أحيانا أخرى ، وليس عليك من هذا بأس ، فما ينبغي أن يطالب الفنان
بأكثر مما يستطيع أن يعطى ، فالحرية هى الأصل الأول للفن » .



وسنجد اشارة الى « عودة الروح » فى رسالة من توفيق الحكيم الى
طه حسين ، بل ان الحكيم يستشير طه فى امر يتعلق برسالة بعث
بها اليه مستشرق انجليزى « يبحث فى كل ما يتصل بالبيئات الشعبية »
بل ان الحكيم يبعث برسالة هذا المستشرق ، ملحقه برسالته الى طه
حتى يرى طه فيها رأيه ، وينصح الحكيم عن السبب الذى يجعله
يستشير « الدكتور الكبير » كما يقول عنه ، حين يتحدث عن « اثر
الدكتور فى حياته الادبية » ، وهو ما يراه مبيحا له ان يطلب رايه .

وسنستدل على حرص توفيق الحكيم على اشراك طه حسين فيما
يتعلق بشئونه الادبية الخاصة حين نرى ان الحكيم بعد ان ينهى رسالته
الى طه حسين ، ويوقعها باسم « المخلص توفيق الحكيم » ، يضيف
الى خطابه خطابا آخر يتعلق بمشكلة عرضت « لاهل الكهف » وحقوقه
كمؤلف عنها ، مؤكدا « لن أبرم شيئا كذلك فى امر « اهل الكهف » بدون
راى الدكتور » .

والآن علينا ان نقرأ الرسالة لنتعرف على ما تحويه من دلالات ،
وسنلاحظ فى البداية ان توفيق الحكيم لا يزال يقيم خارج القاهرة ، ومن
ثم سنرى نظراته لطه حسين نظرة كاتب من الاتاليين الى كاتب
يسيطر على أضواء القاهرة ، فلا يزال طه حسين هو « الكبير » ،
ولا يزال الحكيم يؤكد له ويطلب منه ان يثق بما يحمله له من « حب
واخلاص واكبار » ، وسنلاحظ ايضا ان توفيق الحكيم قد وقع على
الرسالة ثلاث مرات ، ويبدو انه بعد كل توقيع كان يتفكر شيئا لم يذكره
فيكتبه .

وهذا هو نص رسالة الحكيم الى طه حسين :

دمهور في ٢٨/١٠/١٩٣٣

عزيزى الدكتور الكبير

أبعث طى هذا رسالة من مستشرق انجليزى اسمه مستر نويل باربر اعرف أنه يبحث فى كل ما يتصل بالبيئات الشعبية والأغاني والأناشيد والمسرح المحلى فى الشرق الأدنى . وأنه أقام فى تونس ومراكش زمناً من أجل هذا الغرض ثم جاء مصر ومكث فيها علمين ثم فرح الى فلسطين وهو يقيم بها الآن الى أن يغادرها يوماً الى العراق والشام . ولقد سبق أن بعث الى شاب ادبي (أمين حسونة) فى اول الصيف الماضى خطاباً يطلب الى فيه نسخة من « عودة الروح » لهذا المستشرق ففعلت .

انى لم ارد بعد على المستر باربر بنعم أو بلا ، قبل أن اعرض الأمر على الدكتور . أن اثر الدكتور العظيم فى حياتى الادبية يبيع لى أن اطلب رايه بل اشراكه بالفعل فيما تدعو اليه هذه الحياة الادبية من تصرفات .

أرجو الدكتور أن يبلغ المدام عتيق احترامى وان يثق بما أحمله له فى نفسى دائماً من حب واخلص واكبار .

المخلص

توفيق الحكيم

ساعمل كل ما فى وسعى للحضور الى القاهرة فى

آخر هذا الأسبوع ان شاء الله .

توفيق

مشكلة أخرى اعرضها على الدكتور : جاعنى الآن كتاب من لجنة التأليف والطباعة والنشر رداً على استعلامى عن حقوق التأليف الخاصة بأهل الكهف مضمونه أنه بمجرد قيام اللجنة بطبع ٢٠٠٠ نسخة يصبح لها الحق فى إعادة الطبع بدون رغبتى فى أى وقت كما يصبح لها الحق فى الاستيلاء على جزء من حقوق المؤلف اذا ترجم الكتاب أو مثل على مسرح ما أو اقتبس موضوعه للسينما أو الإذاعة .

هذه الحقوق التي تترتب للجنة لمجرد طبعها الكتاب باللغة العربية
معناها انى قد نزلت عن حقوق التأليف في مصر وفي غير مصر الى ما شاء
الله . مع ان اللجنة لم تشتر حق التأليف .

ان قانون اللجنة اللجينة فيما أرى كقانون الحماية الايجليزية لا قاعدة
له من قواعد الحق والانصاف . ان رأيي الآن هو ان أقوم انا نفسى بطبع
هذا الكتاب كما فعلت أولا . أو ان أبيع حق الطبعة الاولى فقط اى حق
طبع النسخة فقط لناشر من الناشرين الذين طلبوا هذا الطلب .

انى على اى حال لن أبرم شيئاً كذلك فى أمر أهل الكهف بدون رأى
الدكتور .

المخلص

توفيق

★ ★ ★

ولكن مجريات العلاقة بين طسه والحكيم سترينا ان اشارة الحكيم
الى طبعة ثانية بعد الطبعة الاولى ، ستوجد مشكلة بينهما سنتعرض
لها فى حينها بعد ان نتعرف على مضمون رسالة المستشرق الانجليزى
التي اشار اليها الحكيم فى رسالته وحرص على ان يرسلها الى طسه
ليرى رايه فيها .

يقول المستشرق الانجليزى :

بيت لحم

فلسطين

٢٢ اكتوبر ١٩٢٢

عزيزى توفيق الحكيم

عندما شكرتك على كرمك فى ارسال الجزئين من « عودة الروح »
قبل العطلة ، لم اكن قد قراتها بعد . الآن وبعد ان اتممت دراستهما ،
اشعر انه من الواجب على ان اكرر شكرى مرة اخرى ، وان اهنتك من
كل قلبى لنجاحك للمرة الثانية فى خلال عام واحد ، من تحقيق تقدم جديد
فى تقدم الأدب المصرى المعاصر .

انى لاجد أن الجزئين يستدعيان الاعجاب المطلق لانها يرسمان
لوحة للحياة المصرية المعاصرة .

فلذا لم تكن قد اتفقت بعد مع مترجم آخر ، فانى تحت امرك فيما
يخص ترجمة عملك هذا الى اللغة الانجليزية ، ومستمع ان امر على مصر
بعد اتمامي لها (حيث انى اقيم حاليا في فلسطين) لاستشيرك في
الصعوبات القليلة التى قد اصابها في تفسير بعض الكلمات والجل .
وانى لوائق ان الكتاب سيلقى استقبالا جيدا من قبل النقاد ، ولكن
يصعب تحديد مدى نجاح اى عمل مترجم ، وخصوصا اذا كان عملا
لكاتب جديد ، او التأكد من انه سيحظى بحجم مبيعات مرضى من قبل
الجمهور .

اما بالنسبة للشروط ، فسوف أقوم بالبحث عن ناشر يقوم بدفع
الحقوق المعتادة .. الخ .

ويمكننا تقسيم الأرباح ان وجدت ، او يمكنك ان تطرح اقتراحا آخر
ان احببت .

صديقنا حسونة يعرفنى جيدا ، ويمكنك ان تستفسر عنى منه .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

نيليل باربور

★ ★ ★

بعد ان اتضح عزم توفيق الحكيم على اصدار طبعة ثانية لاهل
الكهف ، ابدى طه حسين رغبته في كتابة مقدمة لها ، لتحدث بسبب هذه
الرغبة مشكلة جديدة بين الطرفين .

يرى توفيق الحكيم ان هواية طه حسين هى كتابة المقدمات للكتب
التي تصدر ، وخاصة اذا كانت لامحاب المكانة او الاهمية في نظره .

فقد كتب مقدمة لديوان « الخليل » للشاعر الكبير خليل مطران ،
ولكتاب « المرأة » لعبد العزيز البشري ، ولكتاب « فجر الاسلام » لأحمد
أمين ، وغيرهم حتى ممن كانوا أكبر منه سناً وأقدم مكانة مثل « خليل
مطران » الذى فى سن استاذة لطفى السيد .

أما الحكيم فلم يتحمس لمقدمة يكتبها له طه حسين لانه كما يقول :
يكره المقدمات ، وقد ذكر ذلك لصديقه القاضى « طاهر راشد » حتى
قبل أن يصدر له كتاب ، فقد أعطى لصديقه هذا مخطوطة « أهل
الكهف » فاعجبته وشجع الحكيم على طبعها ونشرها ، وتولى هو عنه
القيام بهذه المهمة ، وكانت بينهما مراسلات (نشرها الحكيم فى « وثائق
من كواليس الأدباء ») ، تعلق بعضها باقتراح هذا الصديق أن يكتب
أحد مشاهير الكتاب مقدمة « لأهل الكهف » ، ولكن توفيق الحكيم رفض
قائلاً :

أما المقدمة فليس عندي ما أقوله سوى ما قلته فى القصة نفسها ،
وأما أن يقدم للقصة أحد كبار الأدباء المشهورين فى مصر كما هو المتبع
ههنا ما أمقته ، لأنك تعلم أنني رجل مخلص صريح ، وأن أولئك الكتاب
المشهورين قلما يقرأون ما يقدمون له من كتب ، وأن عملى أن هو إلا
عمل يمثل شببية النوم الصريحة المخلصة التى تسعى إلى العمل المجدى
لا إلى الشهرة الفارغة ، لذلك تجدنى مصرأ على عدم التمحك فى الكتاب
المشاهير لأحظى بمقدمة لا تظهر إلا نفاق كاتبها وجهله بالقصة التى
يكتب عنها .

وقد ظل موقف توفيق الحكيم من عدم كتابة مقدمات لكتبه أو لكتب
غيره موقفاً ثابتاً لا يتغير ، اللهم إلا بعض الاستثناءات النادرة فى سنواته
الأخيرة كنوع من المجاملة ، أما قبل ذلك فقد قصد صديقه الشاعر
الزريق « إبراهيم ناجى » فى الثلاثينيات ليكتب له مقدمة ديوانه الأول
« من وراء الغمام » ، فاحاله على « أحمد الصاوى محمد » ليكتب منه
فى بابه « ما قل ودل » لتعريف الناس به ، وعندما قصد صديق آخر
هو « صلاح ذهنى » لكتابة مقدمة لكتاب أدبى له ، والح فى ذلك الحاحاً
شديداً كتب يقول له « أن عمك هو الذى يقدمك » . مما جعل

د. عبد الحميد يونس (أستاذ الأدب الشعبي الراحل) يعتبر عليه
قائلاً :

هل هذه مقدمة تكتبها لمن يريد أن يشق طريقه في عالم الأدب ؟!

وهذا الموقف من مسألة المقدمات جعل توفيق الحكيم لا يتحمس في نفسه عندما عرض عليه طه حسين أن يكتب له مقدمة الطبعة الثانية « لأهل الكهف » ، لأنه يكره المقدمات ، ولم يكن طه يعرف ذلك عن الحكيم ، ولم يحاول الحكيم أن يوضح له هذا الموقف ، فحدث سوء فهم بين الأدبيين كان مقدمة لمشاكل وخصومات أخرى .

وقد ذكر طه حسين هذا الموقف في فصل أدبي نشره في كتابه « فنون في الأدب والنقد » ، فكتب يقول :

« ونتحدث عن « أهل الكهف » وعن طبعة ثانية تذاغ بين الناس فانتزع أنا أن أقدمها إلى الجمهور ، ويظهر الأستاذ وأصدقائنا الرضا بذلك والابتهاج له ، ثم يلقي الستار ويرفع وقد تمت الطبعة الثانية من « أهل الكهف » وإطاعت أنا بالمقدمة أسبوعين أو نحو أسبوعين فينشر الكتاب بغير مقدمة وبغير أن يتحدث أحد في ذلك ، فيسؤني ذلك بعض الشيء » .

لهذا ظن طه حسين أن توفيق الحكيم يسئ معاملته عندما لم يمهله ليكتب له مقدمة الطبعة الثانية من « أهل الكهف » ، وظن أن الذي سيكتبها — كما صرح للحكيم بعد ذلك — هو أستاذ الجيل أحمد لطفى السيد ، ولم يعلم بأن هذا أيضاً لم يخطر على بال الحكيم باعتباره مبدعاً عاماً للجميع .

وتطورت الأمور بعد ذلك بين الأدبيين الكبار على أثر مناقشات دارت بينهما حول بعض الموضوعات مثل « الخلق » و « النقد » في إطار حديثهما عن « الشخصية المصرية » ، المطلوب تجليتها وبلورتها في الإبداع الأدبي والفنى في هذه المرحلة من الثلاثينيات التى اتسمت بالليقظة الفكرية .

وكان لهذه المناقشات — كما يقول توفيق الحكيم — صدى عميقاً في نفوس القراء والأدباء والمفكرين في مصر والعالم العربي ، وخاصة عندما استعرض الحكيم شخصية مصر من إغماق تاريخها ، ليس عن طريق الفكر المكتوب فقط بل عن طريق التعبير الفني المتمثل في فن النحت والتصوير والعمارة محاولاً البحث عن روحها ، متسائلاً :

ما بال تماثيل الآدميين عند المصريين مستورة الأجساد ، وعند الأغريق عارية الأجساد ؟

هذه الملاحظة الصغيرة تطوى تحتها الفرق كله ، نعم كل شيء مستتر خفى عند المصريين ، عار جلى عند الأغريق ، كل شيء في مصر حفى كالروح .

وكل شيء عند الأغريق عار كالمادة .

كل شيء عند المصريين مستقر كالنفس .

وكل شيء عند الأغريق جلى كالمنطق .

في مصر الروح والنفس .

وفي اليونان المادة والعقل .

نظرة أخرى في أسلوب النحت تدعم هذا الكلام .

إن المثال المصري لا يعنيه جمال الجسد ولا جمال الطبيعة من حيث هي شكل ظاهر .

إنما تعنيه الفكرة ، أنه يستنطق الحجر كلاماً وأفكاراً وعقائد . على أنه يشعر مع ذلك بالأناسق الداخلي ، يشعر بالقوانين المستترة التي تسيطر على الأشكال ، يشعر بالهندسة غير المنظورة التي تربط كل شيء بكل شيء ، يشعر بالكل في الجزء ، وبالجزء في الكل ، وتلك أولى علامات الوعي في الخلق والبناء ، هذا كله يحسه الفنان المصري لأن له بصيرة غريزية أو مدرية تنفذ إلى ما وراء الأشكال الظاهرة لتحيط بقوانينها المستترة ، فنان عجيب لا يصرفه الجمال الظاهر للأشياء عن الجمال الباطن . أنه يريد أن يصور روح الأشكال لا أجسامها ، وما روح الشكل إلا القانون العام الأعلى المستتر خلفه .

ان ولع المصريين بالقوانين الخفية ليلغ حد المرض ، مرض
الهنى . لو ان الآلهة تمرض لكان هذا هو مرضها : فرط البحث عن
القانون !

كل شيء فى مصر الهى .

وقد دهش كثيرون ومنهم طه حسين نفسه من أسلوب التفكير
والتناول ، لان الذى كان معروفا وقتئذ هو ان اغلب الأدباء فى عالمنا
العربى يعتمدون على الكلمة وحدها فى تناول الأشياء ، دون ان يلجأوا
بطرق التعبير الانسانى الأخرى من فنون وعلوم وفلسفات تستخرج من
الفنون التشكيلية والمعمارية . وبدا لهم غريبا هذا النوع من الثقافة
الشمالة .



وقد بدا فى أسلوب توفيق الحكيم ما اثار طه حسين ، فكتب فى
١٠ يونيو ١٩٣٤ على سبيل المثال فى مجلة « الوادى » مقالا بعنوان (رد
على الدولة) ، ويقصد بالجملة هنا ، توفيق الحكيم ، لما أبداه من لهجة
متعالية فى الحديث عن نفسه ، وعن القضايا التى يتعرض لها ، فهو يبدأ
مقاله رداً على طه حسين قائلا :

يا دكتور

ويقول له فى معرض حديثه الذى ضمنه أفكاره :

لك ان تقره ولك ان تنكره .

ويطرح عليه عدداً من الاسئلة مخاطباً إياه :

ارجو من الدكتور ان يجيب .

وفى ١٧ يونيو ١٩٣٤ يكتب طه حسين مقالا تحت عنوان (الأديب
الحائر) — قصة تمثيلية — يرسم فيها خطوط هذه القصة التى تسرد
تصرف الحكيم معه ، اذ كان يسر طورا ، ويفضب طورا آخر ، ويتصنع

السرور مرة أخرى دون ما سبب واضح ، بعباراته العنيفة التى يوجهها
فى رسالة الى طه حسين جاء فيها :

(لست احد يخاطبني بلسان التشجيع فما انا فى حاجة الى ذلك) ،
مضيفاً طه حسين : (ان هذه اللهجة لا يملكها غير توفيق الحكيم
الا رئيس الوزراء) (*) .

★ ★ ★

وقد ساهم البعض فى توسيع رقعة الخصومة بين الحكيم وطه ،
غعلى سبيل المثال شارك احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة ،
بشكل غير مباشر فى نشر تفاصيل الخلافات بين القطبين الكبيرين على
نطاق واسع ، حينما كان ينشر الرسائل والمقالات المتبادلة بين طه
والحكيم فى مجلة « الرسالة » واسعة الانتشار ، نقلا عن مجلة « الوادى »
محدودة الانتشار ، ولكن الزيات لم يكن يقصد بالطبع نشر خلافات
الادبيين رغبة فى نشرها تعميقاً للخصومة ، وانما كان يرى فى هذه المعارك
الفكرية والادبية اثراء للساحة الادبية والثقافية (بصرف النظر عما يكتنفها
من خصومة او خلافات شخصية) .

ويرى توفيق الحكيم ان الحساسية عند طه حسين كانت تضخم له
هذه الاشياء وامثالها مما كان يتراكم فى نفسه دون ان يظهره ، الى حد
تصور فيه ان الحكيم يسئ اليه عمداً لدوافع سياسية ، تحت ضغط من
وزارة المعارف التى كان على خصومة مع وزيرها ، فى الوقت الذى كان
فيه الحكيم مديراً لادارة التحقيقات بالوزارة نفسها ، ورأى الحكيم ان
طه حسين له الحق فى هذا التصور والظن لما كان يلاحظ فى ذلك العهد
من تقلب الادباء السياسى ، ومنهم طه حسين نفسه ، والعقاد ، والمازنى ،
وغيرهم ممن تنقلوا بين وقت لآخر بين حزب وآخر .

ويرى الحكيم أيضاً ان هذا لا ينقص من قدر هؤلاء الادباء العظماء
ولا من قيمتهم الفكرية ومكانتهم الادبية ، فقد حدث مثل هذا بالنسبة للتاريخ

(*) نقلا عن « بروباجندا توفيق الحكيم » للدكتور مصطفى عبد الفنى من نسخة
مخطوطة على الالة الكاتبة نشرها بعد ذلك فى مجلة الهلال (٨٥) .

الأدبى العالمى لكتاب عظام من « فولتير » الى « سارتر » ، فالتاريخ
الانسانى ملوء بالمتناقضات والمتغيرات ولا يجسد على الأوضاع غير
الجهاد .

ولذلك حين رأى توفيق الحكيم أن صديقه طه حسين يظن به الظنون ،
بادر الى مصافاته معلنا « أن أكبر سلطة فى الدولة لا تستطيع أن تفسد
الصداقة التى بيننا » قائلًا له فى رسالة خاصة :

انه لا دخل لما بيننا من خلافات فى الراى والفكر باى أمور
سياسية وانه لم يخطر ببالى مطلقاً حينما لم أدمك تكتسب
مقدمة « لاهل الكهف » أن ذلك يدخل فى باب الخصومة ،
واننى اكن لك وداً وجباً بالفين .

وقد اكبرت هذا الموقف من توفيق الحكيم ، الأدبية « مى » صاحبة
الشهرة الأدبية فى العشرينيات والثلاثينيات ، والتى خفتت قلوب الأدباء
بحبها ومنهم لطفى السيد ، والعقاد ، وطه حسين نفسه ، فكتبت
الى توفيق الحكيم فى ١١ يوليو ١٩٣٤ ، فى رسالة (نشرها الحكيم)
اشادت فيها بكتابه (اهل الكهف) ، و (عودة الروح) ، ثم قالت :

بيد انى عرفت منك بخصومتك مع صديقنا الدكتور طه حسين
وخصوصاً ببادرتك الى مصافاته ، اكثر مما عرفت بكتابيك .

وقد استرعى التفات « الحكيم » فى خطاب « مى » اليه اشارتها
المذكورة الى خصومته مع « طه حسين » فى ذلك الوقت ، لأنه كان
يرى أن « صداقتنا — كانت — فيما يبدو غير قابلة لخصومة » .

ويعترف على نفسه « ولكن يبدو انى كنت قد جرحت احساس
طه حسين يومئذ من حيث لا اقصد » .

ومن ثم بادر توفيق الحكيم الى مصافاته .



غير اننا لا نكاد نغادر سنة ١٩٢٤ ، حتى يحدث ما يعكر الصفو
مرة أخرى ، فقد اصدر ثونيق الحكيم مسرحيته « شهرزاد » وكان لابد
طه حسين كعادته ان يقول رايه ، ولم يكن رايه في (شهرزاد)
كرايه في « اهل الكهف » و « عودة الروح » ، فقد كتب يقول عن
« شهرزاد » : ان مؤلفها ثونيق الحكيم في حاجة الى مزيد من القراءة
الفلسفية ! مما استفز الحكيم وجعله يرسل خطابا الى طه حسين
« يشتمه » فيه ، ويقول : انه قرا في الفلسفة اكثر مما قرا طه حسين
نفسه ، وانه ليس في حاجة الى نصائحه (*) .

ولم يكن راي طه حسين في بقية مؤلفات الحكيم ، بعد ذلك باحسن
حالا من رايه في « شهرزاد » فقد اعلنه برايه هذا على مشهد من جلسة
علنية (بجميع اللغة العربية) حين استقبله سنة ١٩٥٤ ، رغم استقرار
مداقتها بعد ذلك ، فقد قال « طه » مخاطباً « الحكيم » :

ومضيت بعد ذلك فيما مضيت فيه من كتبك التي لا اجد
وسيلة الى احصائها ، واكاد اعتقد أنك لو استأنيت بنفسك
شيئا وانتجت في شيء من الابطاء لاعطيتها آيات تشبهه في
جودتها وقوتها وبراعتها واستعدادها للبناء هذين
الاثرين : اهل الكهف ، وعودة الروح .



وكعادة ثونيق الحكيم فان الغضب يستفزه ثم لا يلبث ان يعود
معترفاً بخطئه في حق طه حسين .

وبين ايدينا رسالة ناقصة من الحكيم الى طه ، لم نعتد سوى
على صفحتها الثانية ، وليس فيها تاريخ يدل على زمنها ، وان كان
مضمونها يدل على مناسبتها التي لعلها كانت مرتبطة بالخطاب الجنيف
الذي ارسله الحكيم الى طه ، تعنيا على تطبيقه على « شهرزاد » ،
والخطاب مكتوب باللغة الفرنسية ، ويرجح ان الحكيم قد ارسله الى

(*) المصدر السابق .

طه أثناء سفره الى الخارج ، ويكشف مضمون الخطاب ، او نصه
الذى بين ايدينا من اعتذار شديد وعجيب ومدهش يصل الى حد ان
الحكيم يطلب من طه ان يعفو عنه والا لو ظل غاضباً منه فانه سيتخطى
عن الفن وعن كل سيرته الادبية !

يقول توفيق الحكيم :

... انى اتالم بحق ، بعد التفكير اتضح لى انى مخطيء ، كان
على ، على الاقل ان استشيرك قبل ان انشر كتابى .

ما رايك فى تصرفى ؟

الذى يؤنبنى اكثر هو ما ابدت من لطف فى العفو عنى بكل هذا
الكرم .

انك فى الحقيقة فنان عظيم فى أعماقك ، هذا مؤكد . وانا اعترف
انى لا اتمتع بمثل هذه الروح ، أنا لست جديراً بالفن ولا بك .

والآن ها هو قرارى :

اذا ظلمت غاضباً منى فسأتخطى عن الفن وعن كل سيرتى الادبية .

المخلص

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ورغم ان شهرزاد كانت سببا لجفوة بين طه حسين وتوفيق
الحكيم الا انها كانت سببا فى جمعها على « جبال الالب » فى كتاب
مشترك خرج لنا باسم « القصر المسحور » ، مما سوف يأتى الحديث
عنه فى حينه ، الا ان « اهل الكهف » تظل درة التاج فى العلاقة بين
الادبيين الكبيرين ، اذ لا يزال الحديث عنها موصولا ، بعد ان تحولت
من بين صفحات كتاب الى عمل فنى على خشبة المسرح ، وقد حرص
طه حسين على حضور حفل الافتتاح ، وكان له فى « اهل الكهف »
حديث آخر .

★ ★ ★

توطدت الصداقة بين طه حسين وتوفيق الحكيم على وضعهما الوثيق المستقر في أواخر عام ١٩٣٥ ، بعد أن زالت عنها الغيوم التي تلبدت في سمائها في أكثر من مناسبة ، ولكن توفيق الحكيم كان حريصاً على الاحتفاظ بصداقة طه حسين كما أخبرتنا بذلك رسائله الخاصة إليه ، وجاء عام ١٩٣٥ ليشهد تأسيس الفرقة القومية برئاسة الشاعر «خليل مطران» ، والتي تم افتتاحها بمسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، وقد حضر طه حسين حفل الافتتاح وتغيب عنه توفيق الحكيم صاحب المسرحية ، وله في ذلك أسبابه التي سنتناولها في حينها .

ولعله من المفيد أن نقرأ نقداً لعبد الأنس المصري لمسرحية لم يشاهدها ولكنه سمعها ، لقد عرض طه حسين للظروف السياسية المضطربة ، في ذلك المقل الجهول (*) . فقد عاد الدستور بعد أن دفع المصريون من دمائهم وأرواحهم الكثير ، وقد شغل الحاضرون حفل الافتتاح بحديث السياسة قبل رفع الستار وتجعلهم لصدور الأمر الملكي بإعلان الدستور رسمياً ، واختلط حديث السياسة ، بحديث المسرحية بين الفصول ، بل إن حديث السياسة كان يشغل بعض الناس أثناء التمثيل وما سيكون عليه الموقف السياسي في الغد ، مما جعل طه حسين يتعجب ويقول أنه كان من الخير لهم أن يتحدثوا في أمور السياسة

(*) النص الكامل للمقال المنشور في جريدة الجهاد في ١٤ ديسمبر ١٩٣٥ يمكن الرجوع إليه في كتاب أوراق مجهولة للدكتور طه حسين ، للمؤلف - صدر عن دار المعارف .

في مكان آخر غير المسرح ، ولو كان قد فرغ بالهم لكان حظ القصة والفرقة من عنايتهم ورضاهم اعظم حظاً مما حدث ليلة الافتتاح . وزاد من قلة الحظ ان المسؤولين عن المسرح قد غاب عنهم شوق الناس وتمجّلهم لمشاهدة التجربة الاولى ، فقد تأخر رفع الستار حتى تقدمت الساعة نحو العاشرة مما اصاب الناس بالضيق والملل ، معبرين عنه تصنيفاً بالايدي وضرباً بالأقدام على الارض ، وانطلاقاً لبعض الاصوات المتبرمة بعد نفاذ الصبر ، حتى التقى السلام الملكي فهذا الناس ابتهاجاً بان التمثيل سيبدأ فوراً ، فاذا بأملهم قد خاب ، وكان عليهم ان ينتظروا وقتاً آخر حتى ينتهى قارئ القرآن الكريم من تلاوة آيات كريمة من سورة الكهف ، فغشى الناس خشوع ورضا من بداية الاحتفال بقصة « اهل الكهف » بآيات من نفس السورة التى سميت باسمها واستلهمها المؤلف من موضوعها ، ولكن القارى اطلال الترتيل ، فراح قوم يسعلون ، وآخرون يتحركون مما اثار اضطراباً لا يليق بمقام القرآن حين تنلى آياته ، مما اضطر القارئ الى ان يقطع ترتيله مخافة اشتداد الامر ، ولكن الامر لم يقف عند هذا الحد فلم يبدأ التمثيل بل ابتدأت موسيقى طويلة عرضت معها مناظر كأنها أريد أن يكون ذلك تمهيداً للتمثيل ، ولكنه تمهيد طال أظهر معه الناس الضيق والضجر بعد ان طال انتظارهم ونفذ صبرهم واصابهم الفتور ، ثم بدأ عرض مسرحيه « اهل الكهف » ، لتبعد بفصلها الاول الفتور عن الناس وتعيد اليهم نشاطهم ، ثم جاء الفصل الثاني ليملك القلوب والعقول ، ومن هنا — كما يصف طه حسين — جاء التصنيق في نهاية هذا الفصل مضاعفاً قويا لا فتور فيه .

ولكن الفصل الثالث وقد استقبله الجمهور مشوقاً موجور النشاط شابه نساء من طول الحوار في بعض المواضع يحسن في القراءة ولا يحسن في التمثيل ، كما ان « بريسكا » كانت بحاجة بعض الشيء الى أن تنسى عصرنا الحديث لتعيش في العصر الذي وقعت به القصة ، كما كان المثلون بحاجة هم ايضا الى ان ينتهوا عن الاسراف في الحماسة ورفع الصوت ، فادوات المثل ليست كأدوات الخطيب .

ولما أسدل الستار على هذا الفصل أصبح نجاح القصة والفرقة حقاً لا شك فيه .

أما الفصل الرابع فقد تمنى طه حسين ألا يكون — أو حسب تعبيره « ثم عدنا الى الفصل الرابع ولينا لم نعد ، فقد كان هذا الفصل طويلا وإخشي أن أقول ميلا » ، ذلك لأن ما يلائم القراءة لا يلائم المسرح ، فقد كان فصلا « تفلسف » فيه الأبطال ، ونصح طه حسين باختصار هذا الفصل لكي يلائم المسرح أو « الملعب » حسب تعبيره .

أما خلاصة رأي طه حسين الذي كان أول نقد عربى لأول عرض مسرحى عربى ، فانه « مهما يكن من شيء فان من الحق أن نهىء الفرقة بما ظفرت به من فوز أمس ، وإن نؤكد انها قد ابتدأت أحسن ابتداء ، وإن كل شيء يدعو الى أن ننتظر منها أحياء التمثيل العربى كأحسن مما نصب أن يكون » .

وقد هنا طه حسين ، مدير الفرقة خليل مطران ، فهو « أشجع من أن يحتاج الى تشجيع ، وأبرع من أن يحتاج الى تقريظ ، وإن جهوده أعظم من أن يهنا صاحبها بما قدر لها من توفيق » .

ثم انتقد طه حسين « جمهور النظارة » ولا سيما أصحاب المنصب والجاه منهم والذين يستبيحون لأنفسهم ما لا يستبيحه غيرهم من الناس مخالفين آداب المسرح بما يقتضيه من الصمت والاصغاء ، فما بالك بالقاء الجمل التى لا ينبغي أن تلقى الى درجة أن طه حسين نفسه يقول « وقد سمعت أمس من هذه الجمل ما استحي أن أسطره ، وإن لم يستح أصحابه من أن يقولوه » .



أما عن موقع توفيق الحكيم من نقد طه حسين لمسرحيته فقد ظهر وهو يثنى على الفصل الثالث حين يقول « ولم يكذب يلقى الستار على هذا الفصل حتى كان نجاح القصة والفرقة حقاً لا شك فيه ، وحتى لم أتردد فى إعلان أسفى لأن الأستاذ توفيق الحكيم لم يكن حاضرا ، ولم يقدم الى هذا الجمهور المبتهج السعيد لياخذ بحظه من الرضى والسعادة . ولكن أثبت أنه قد أثر الفرار من هذه الموقعة التى كانت بينه وبين جمهور النظارة ، فانتصر غائبا » .

لقد لاذ توفيق الحكيم نفسه بكهفه الخاص فراراً من مسرحيته « اهل الكهف » ليلة الافتتاح ، اما لماذا كان فرار الحكيم ، ولماذا كان انتصاره ، فان العودة الى حال المسرح قبل توفيق الحكيم سوف تقدم لنا اجابة السؤال الاخيرة ، ثم نحاول بعد ذلك أن نجيب على السؤال الاول .

اوليس من الأفضل أن نترك توفيق الحكيم نفسه يجيبنا من خلال « سجن العمر » الذى عاش بين جدرانها ؟

انه يقول « اذ ما كدت اعود من فرنسا حتى وجدت اوضاع مصر السياسية فى طورها السريع ، وما نتج عنه من برلمانات وأحزاب تنفق الأموال بغير حساب على السنة حالها من الصحف والكتاب ، قد رفعت من شأن الصحافة وكتابها ، فى الوقت الذى تدهور فيه المسرح وكتابه .. عدت فلم اجد جوقة عكاشة .. لقد أفلست واختفت .. ومسرح رمسيس أخذ فى الترنح والاحتضار .. وأسماء : محمد مسعود ، وعباس علام ، ولطنى جمعه ، وابراهيم رمزى ، وغيرهم .. قد انطفأت بانطفاء اضاء المسرح .. ولمعت أسماء جديدة مع التماع نجم الصحافة .. برزت أسماء طه حسين وهيكل والمعتاد والمازنى (.....) — و — استطاعوا ان يتابعوا تجديدهم فى النقد والشعر والادب .. فى حين أن كتب المسرح قد انتهوا بانتهائه .. وقد نجعت حقاً بما حدث للمسرح فى الوقت الذى عدت فيه حاملاً فى جعبتى محصولاً غزيراً لمختلف ثقافته .. وخطر لى أن ابحت عن صديقى القديم مصطفى ممتاز ، انقسم منه روائع عهدنا الفلبر .. فوجدته قد انصرف انصرافاً تاماً عن الكتابة على الاطلاق ، وقال لى فى نبذة حزن واسى : « المسرح مات » .

وسالته عما يفعل اذن ؟

فقال بهدوء وجد : اشتغل بتحويل النحاس الى ذهب !

وخلته يمزح ، واذا به يؤكد لى أن هذه هى هوايته الآن ، وانه يطالعها فى الكتب القديمة ، وانه غارق لأذنيه فى تلك الكتب ، وقد أحبط ببعض ما فيها من عجائب وعلوم وأسرار (.....) أردت تغيير الجو والعودة بصديقى القديم الى الحديث فى المسرح ، فابديت له الرغبة فى معاودة الكتابة للمسرح بطريقة جديدة واتجاه آخر وتاليف حقيقى بعد

الاطلاع والخبرة والدراسة التي اكتسبتها من الاتصال الثقافي بالفن
والادب في الخارج .. فقال لى باخلاص وصراحة : اسمع كلامى لا تتعب
نفسك ! هذا مجهود ضائع .. المسرح المصرى كمهدنا به قد انتهى ! ..

وقد صدق .. فالمسرح فى مصر وقتئذ كان فعلا قد مات ، ولم أحاول
مرة أخرى الحديث مع ذلك الصديق القديم فى أمر المسرح (.....)
على أن موت المسرح فى تلك الفترة أمر يدعو حقاً الى التساؤل عن
اسبابه .. وما من شك أن تطاحن الأحزاب السياسية كان قد صرف
الأذهان عن الفن وأهله .. كما أن الأزمة المالية التى اجتاحت العالم
عامة ومصر خاصة حوالى عام ١٩٣٠ - ولعل هذا أهم سبب - قد أثرت
فيما أثرت على المسرح .



وعندما زالت اسباب الأزمة كان يمكن أن يعود المسرح لما كان عليه
قبلها مسرحاً اجنبياً مقتبساً أو قد تم تمصيره ، لولا أن ظهر فى سماء
الشرق من يؤسس مسرحاً عربياً يحظى بالتقدير والاحترام والدراسة
مما جعل المثل نفسه يكتسب نفس التقدير والاحترام بعد أن كان يسمى
« الشخصاتى » ولا تقبل شهادته فى المحكمة ، فجاء تأسيس المسرح
العربى بنصوص أدبية ، بدأت « بأهل الكهف » القائمة على قصة مستمدة
من وحى القرآن لا من أساطير الغرب وتراجيديا الاغريق كما كان ينتظر
من توفيق الحكيم وهو المطلع على الآداب العالمية فى باريس ، صحيح
أنه قد تأثر بكل ذلك ولكن تأثره بالنبيع كان أقوى وأبقى .



ورغم أن « أهل الكهف » قد عرضت على المسرح وكان من المنتظر
أن يحضر توفيق الحكيم ليلة الافتتاح إلا أنه آثر الهرب والفرار من تلك
الموقعة بينه وبين الجمهور لاعتقاده أن « مسرحه » يقرأ ولا يعرض ،
احساساً منه بأنه يفشل الفشل الذريع ، ولكن والده قد حضر الافتتاح
وعاد ثائراً جداً ضد ابنه توفيق الحكيم متهما إياه بالجمود والكبر قائلاً
له : كيف وصل بك الأمر بأن تفعل ذلك بمقدساتنا ؟!

قال والد الحكيم لابنه ذلك رغم أنه هو نفسه متحرر الفكر ويكاد ينحرف في مناقشاته الدينية الى « مزالق الكفر » ، وذلك حسب اعتراف الحكيم نفسه في « سجن العمر » وحين ينبه والده فانه يفرق له بين الايمان المستقر في القلب وبين « شطحات التفكير التي هي شيء آخر » ، وهذه الثنائية المختلفة بين القلب والفكر ، هي مما ورثه الحكيم عن والده حتى نهاية حياته ، وان كانت النزعة الروحية لم تفارق أعماله بدرجة او باخرى ، ولعل مسألة القلب المؤمن ، والعقل المفكر ، وما قد يصل بصاحبه الى نوع من الشطحات ، ليست مسألة قاصرة على الحكيم فقط بل يشاركه فيها طه حسين ايضاً ، والعقاد ، بل وكل المفكرين ، وان كان ذلك بدرجات متفاوتة لا يمكن تحديدها .



اما توفيق الحكيم فقد شاهد مسرحيته « اهل الكهف » في الليلة الرابعة ، ونتركه يطلق بنفسه ويصف مشاعره من خلال رسالة منشورة (*) له الى مدير الفرقة القومية يقول فيها :

عزيزى الأستاذ خليل بك مطران

احب ان اثبت كتابة تهنئى اياك بهذا الفوز المبين . لقد شاهدت رواية الانتاح في ليلتها الرابعة وتبينت ان الامر اجل من ان يكون امر قصة وفرقة انما هو امر اقرار مذهب من مذاهب التمثيل لم يكن مألوفاً في مصر والشرق العربى . فقد كان المعروف لجمهورنا من قبل ان المسارح تؤم للمتعة الرخيصة الزائلة ، لا للمتعة العقلية الباقية . حتى قصص شكسبير وامثالها ما كانوا يشاهدونها لذاتها ولحوارها بل لما ادخل عليها من غناء والحن . او لما جاء فيها من مواقف مثيرة تهز أعصابهم دون ان ينال حوارها الادبى من اذهانهم منالا . الى ان امسك بالزمام امام الصناعتين ، وكأنها اراد القدر ان يقيمه امام صناعة ثلاثة فبين للناس موقعة حاسمة : ان التمثيل ان هو الا فصل مجيد من كتاب الادب العالى . نعم لقد كانت موقعة لا بينى انا وبين الجمهور كما قال صديقنا الدكتور طه حسين . ولكنها بينك أنت وبين المذهب السابق البائد للتمثيل ، وقد كان لك النصر ، وبانتصارك انتصر الفن الحقيقى .

(*) هي جريدة الجهاد .

ماهنتك مرة أخرى ، وأهنيء معاونيك ، ومحققى فكرتك البارعين ،
مخرجى وممثلى الفرقة القومية الزاهرة .

والسلام

القاهرة فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥

المخلص

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ولكن ما هو الفرق بين « حكينا » مؤسس مسرحنا العربى ،
« شكسبيرهم » ؟

فى مداعبة طريفة يجيب طه حسين ، وهو يعقد مقارنة بين مسرح
الحكيم ، ومسرح شكسبير ، بعد حضوره لعرضين متتاليين لكل منهما :
يقول طه حسين (*) :

وفوز آخر عظيم أدركته الفرقة القومية للتمثيل فيما تهتل من قصص
شكسبير ، بعد ذلك الفوز الذى أدركته فى الأسبوع الماضى حين مثلت
قصة أهل الكهف . ولكن فوز هذا الأسبوع أصرح وأجلى وأبهر من فوز
الأسبوع الماضى . لأن ملهم الممثلين ومنطقهم ومحركهم هو شكسبير ،
وما اظن ان ذلك يغضب الأستاذ توفيق الحكيم فليس على ابنه النابيين
وانبغ النابغين واكتب الكتاب بأس ان يتقدم عليه شكسبير . والحق ان
قصة أهل الكهف على ما فيها من جمال وروعة واستحقاق للبقاء والبقاء
الطويل ، لم تكن قد انشئت للملعب ، فحسب الممثلين فخراً وفوزاً أنهم
قد حملوا الملعب على قبولها واجروها امام النظارة على ذلك النحو
الجميل الموفق الذى وصفته للقراء يوم السبت الماضى .

(*) النص الكامل للمقال فى كتاب المؤلف « أحاديث مجهولة لطف حسين » - دار

المعارف .

فأما قصص شكسبير فقد أنشئ للتمثيل بل هو التمثيل نفسه ،
سواء أجراه الممثلون في الملعب أم خلا إليه القارئ في الكتاب » .

ولم يختلف توفيق الحكيم مع طه حسين حول هذا الرأي ، فالحكيم
مقتنع منذ مسرحيته الأولى « اهل الكهف » بأن مسرحه للقراءة لا للعرض ،
ومع ذلك فان مسرح الحكيم يظل قابلا للعرض .

وقبل أن نترك « اهل الكهف » علينا ان نقفز بعد ذلك بسنوات حتى
نصل الى عام ١٩٤٠ ، حين ترجمت هذه المسرحية ونشرت بالفرنسية
عام ١٩٤٠ ، ليتم بعد ذلك عرضها هناك ، وهو ما يتحدث عنه توفيق
الحكيم بسعادة وسرور في رسالة له الى طه حسين كتبها اليه من
باريس دون ان يؤرخ للسنة التي كتبت فيها ، وهي رسالة على كل حال
تدلنا على حرص توفيق الحكيم على أن يتابع نشاطه ، لطه حسين ،
ويطلعه على ما يخصه أولا بأول في رسائل مجله يترك تفصيلاتها
ليحكيها له حين يلتقيان ، يقول الحكيم في رسالته :

باريس في ٣ يونيو

صديقي الجليل

تحياتي من باريس ، فقد وصلت اليها منذ يومين ، بعد أن
شاهدت اهل الكهف تمثل في اطار رائع . والحديث عن ذلك يطول
وسأحتفظ به للقاء . ونحن الآن في باريس . وهي المدينة التي يسمونها
مدينة النور . وهي اليوم ولا شك مدينة النار ، التي تذوب فيها تلال
الذهب . وأنا ليس معي من الذهب غير فرنكات من الورق ، تطير من يدي
ولا تنتظر حتى تذوب . لا اظن اني سأصمد في باريس حتى آخر الشهر .
سأحاول على كل حال .

أما بعد فاني أرجو أن تكونوا جميعا في خير حال وان تبلغوا السيدة
الكريمة اصدق تحيتي واحترامي ، وان يقدرني الله على الثبات في باريس
حتى ألقاكم فيها وانعم باللقاء .

وتفضلوا بقبول اخلص تحيات المخلص دائما .

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ولم يقف الأمر عند حدود الاتصالات الشخصية ، بل تعداه الى اخبار الحكيم لطفه بمشروعاته القادمة مثل كتابه عن « محمد » الذى بدأت فكرته عندما طلب منه صاحب مجلة « الرسالة » د. أحمد حسن الزيات ان يكتب مقالة عن « السيرة » سنة ١٩٣٤ بمناسبة اصدار عدد خاص عن « الهجرة » ، فكتب الحكيم فصلا عن « محمد الرسول البشر » ، عكف بعدها على كتابة فصول اخرى ضمنها كتابه « محمد » المنشور سنة ١٩٣٦ ، ويقوم شكله الفنى على الحوار من خلال الاحاديث النبوية الصحيحة. منسوبة لرواتها طبقا لكتب السيرة المعتمدة عند ائمة المفسرين ، دون تدخل من الحكيم ، سوى قصده الذى اراده من كتابه وهو ان ينبه المخالفين المسرفين فى وصف النبى بها يخرجهم عن بشريته التى اكد عليها القرآن ، الى ان مثل ذلك هو خروج على جوهر الدين والاسلام الحقيقى. ويبدو ان توفيق الحكيم قد اخبر طسه حسين بعزمه على تأليف كتاب عن الرسول ﷺ ، فأرسل اليه يستفسر منه عن الزاوية التى سيطرقها فى كتابه ، فأرسل اليه الحكيم رسالة باللغة الفرنسية على منزله بالزمالك ، ولا ندرى لماذا استعمل الفرنسية فى خطابه ، ولا ندرى كذلك لماذا كان يستعملها فى بعض الاحيان اللهم الا اذا كان المقصد هو التدليل على قدرتهما على التفاهم بأكثر من لغة ، غير أن المثير للدهشة هو ان يفسر توفيق الحكيم لطفه حسين طبيعة كتابه عن « محمد » بخطاب بالفرنسية ، ولا يوقعه باسمه بل بحروف من اسمه ، هكذا : (T.E L.H.)

تقول سطور الخطاب :

صديقى العزيز

كتابى لا يستدعى سوى مناقشة سيرة النبى - ﷺ - وأنا لا اتدخل فيه الا نادراً لتجنب تمويه حقيقة الشخصية التاريخية ، وهو عمل « سيناريو » ادبى اذا أمكن تسميته هكذا .

المخلص

توفيق الحكيم

١٩٣٦/٢/٧

فی ضیافۃ شہر زاد

«... اُردنا اللہو بہا ، ولکن من غلار
تبادلنا الرہائل ، اکتشفنا أن «شہر زاد»
ہے التي سموت منی ومن طے صین...»

توفیق الحکیم

بلغت قمة الصداقة بين طه حسين وتوفيق الحكيم قمتهما على جبال الالب بفرنسا حيث اجتمعا سوياً للاصطياف سنة ١٩٣٦ في القرية الصغيرة « سالانش » احدى قرى جبال الالب الفرنسية ، والتي تتوزع فيها عدة فنادق متوسطة الحال ، نزل في احداها طه حسين في شهر يوليو ١٩٣٦ ، ليلحق به توفيق الحكيم الذي كان قد ارسل خطاباً لطه يخبره فيه بأنه في الطريق اليه ، وهذا يوضح لنا ان طه حسين كان كالحكيم ايضاً يخبر صديقه بتحركاته ويترك له عناوين الاماكن التي ينزل فيها ، وما ان وصلت رسالة الحكيم حتى حجز له طه حسين مكاناً في الفندق الذي يقيم فيه ، واعد له ما اراد من متطلبات صيد السمك التي يهواها .

ورغم ان توفيق الحكيم خبير بباريس وجنبتها الا ان طه حسين قد عرفه على مكان جديد لم يقربه من قبل ، وهو الجبل . والتقى الصديقان فكيف كان حالهما عند لقائهما ؟



حين وصل توفيق الحكيم كان موعد الغداء قد اقترب ، وكان طه حسين قد غادر غرفة سكرتيره التي يقضى فيها ما شاء من الوقت من اجل القراءة او الاملاء .

أما توفيق الحكيم فقد حمل بين يديه ما استطاع من صحف وكتب ، ومنذ وصوله وهو لا يصمت عن الحديث في كل شيء وأى شيء ، ولم يشغله تناول طعام الغداء عن مواصلة حديثه عن : الجبل ، والمناخ ، وقراءاته في الصحف والكتب ، وأخبار النشاط الأدبي في مصر ، وفي إمكانية ترجمة كتابه عن « شهرزاد » وتجسيدها تمثيلاً على خشبة المسرح ، حتى إذا انتهى الغداء ، صار الحكيم مشغولاً بالأعداد للصيد وهي هواية أراد أن يعوض بها فشله في السباحة بعد أن كرهها بسبب أبيه عندما أراد يوماً أن يعلمه العوم في الإسكندرية ذات صيف ، فلم يفعل غير أن جذبته من يده إلى حيث يسبح هو في الأعماق دفعة واحدة ، فكان الطفل توفيق يتحسس القاع بقدمه الصغيرة فلا يجده فيرتاع ارتياحاً شديداً ، وكان كلما جاءت موجة يشعر كأنها تقتلعه اقتلاعاً لتقذف به بعيداً عن والده ، فجاء العنف الذي أراد أن يعلمه به والده العوم ، ليضع بينه وبين البحر سداً منيعاً ، فلم يعرف البحر إلا وحشاً ينتزعه موجه بعنف إلى القاع العميق وهو يتجلد ويكتم صياحه حتى لا ينتهره أبيه ، كل ما فعله الطفل توفيق الحكيم آنذاك هو أنه أقسم في قرارة نفسه أنها آخر مرة ، وأنه إذا خرج سالماً فلن يضع قدميه في ماء بحر أبداً ، وخرج وبر بهذا القسم ولم يعد بينه وبين البحر من صلة سوى محاولات للصيد .

يقول الحكيم على لسان « شهرزاد » في « القصر المسحور » :
انى اعرف هذا الصنف من الرجال ، انه لن يصطاد سمكة في حياته ، ولا أحسب انه يذهب يوماً إلى بحيرة أو نهر أو بحر ، انها هو يخلق في رأسه كل هذه الرغبات ، ويعد للوصول إليها المعدات ، ويفخر نفسه في ذلك الجو الذي ابتدعه خياله ، حتى إذا كان على بعد خطوة من التنفيذ والحقيقة ، انهار حلمه ولم يعد يعنيه من الأمر شيء .

أما طه حسين فيصف في « القصر المسحور » أيضاً ، توفيق الحكيم الذي رأى الجبل لأول مرة ، والثلج الأبيض الذي يغطيه لأول مرة ، فيقول انه « لم يخطر له قط أن الجبل الأبيض شيء يرى ، فلما رآه كاد يخرج عن طوره لولا أن تمالك واصطنع الوقار وهو يقسم لنا

جهد إيمانه ليصعدن فيه وليبلغن قمته ، فإذا صعدنا ذلك قال في براءة الصبي النقي : ماذا ؟ اليس يكنى أن أعدو إليه مع الصبح وأعود منه حين ينتصف النهار فأدرك معكم الغداء ؟! » .

وتقول « شهرزاد » لطله حسين :

أهو من السذاجة بحيث تصف لي ، فإن كتابه يصوره مقدماً أشد التعقيد .

فيقول طلّه حسين « لشهرزاد » : ستجدين عنده السذاجة المريحة حين تحتاجين إلى الراحة ، والتعقيد المضمّن حين تحتاجين إلى الجد والتفكير .

ومن مجموع هذه المداعبات المتبادلة بين طلّه والحكيم اكتملت فصول كتابيهما المشترك « القصر المسحور » الذي كانت فيه « شهرزاد » هي البطل الذي جمعها ، فقد مات « شهریار » جليسه وأنيسها ، فصارت تبحث عن أنيس وجليس ، وكلا من طلّه والحكيم يحاول الفوز بها دون الآخر ، عن طريق كيد كلا منهما للآخر عند « شهرزاد » ، وينتهاز طلّه حسين الفرصة ليوجه نقده للحكيم على لسان « شهرزاد » على كتابه عن « شهرزاد » الذي قامت بسببه مشكلة عكرت صفو الصداقة بين الأدبيين الكبيرين بسبب عدم رضاء « طلّه حسين » عن « شهرزاد » الحكيم ، وانتقده بسببها نقداً لاذعاً ، أما في « القصر المسحور » فقد كان معه رقيقاً .

لقد فرقتهما « شهرزاد » حيناً ، وجمعتهما حيناً آخر ، ووضع كل منهما كتاباً خاصاً عنها .

طلّه حسين كتب « أحلام شهرزاد » .

توفيق الحكيم وضع مسرحيته « شهرزاد » .

ثم اشتركا معاً في كتاب عنها اسمه « القصر المسحور » .

ومن العجيب كما رصدت د. سهير القلماوى (*) — تلميذة طلّه حسين — أن الأدبيين العربيين قد تأثروا بشهرزاد الفربية لا العربية ،

(*) في كتابها : نكوى طلّه حسين — اقرأ — دار المعارف .

بعد أن انتهت قصتها الخرافية أو أسطورتها ، لا شهرزاد العربية التي تقبل على الفداء ، فداء بنات جنسها ، ومعاناتها ، التجربة الموحية بكل عجيب من الصراع بين الأمل والياس ، والخوف والاطمئنان ، والحب والكراهة ، وتأثر توفيق الحكيم وطه حسين بشهرزاد العربية تأثراً واضحاً يعترفان به ، ويذكره طه حسين في « القصر السحور » ، كما يذكره توفيق الحكيم في « زهرة العمر » .

ان السؤال : من أنت وما حقيقتك الذي يردده الحكيم ويكرره من بعده طه حسين (متأثراً به برغم أن المسرحية لم تعجبه) لا علاقة له « بشهريار » الذي روت خبره « ألف ليلة وليلة » !



ولم يكن طه حسين وتوفيق الحكيم وحدهما فوق جبال الألب ، فقد كان معها برسائله الشاعر « مطران خليل مطران » المستنول من الفرقة القومية التي افتتحت نشاطها بمسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، وبلغ طموحه أن يفتتح الموسم المسرحي الجديد بمسرحية من تأليف طه حسين الذي كان مقدراً له أشد التقدير ومعجباً بأدبه أعجباً شديداً ، ولم يك يخفى هذا التقدير وهذا الإعجاب سواء في خطاباتهِ إلى طه حسين أو حين يقابله ، فقد كلفت بينهما صداقة خاصة ، يحمل فيها كلا الطرفين للآخر مشاعر من المودة والاخلاص تلمسها في هذه القصيدة التي كتبها « خليل مطران » المعروف بـ « شاعر القطرين (مصر والشام) » ، أعجاباً بقصة « دعاء الكروان » التي كتبها طه حسين ، وعندها وصلته القصيدة علق عليها من أملائه قائلًا :

« أتبع لهذه القصة أن تبلغ من نفس شاعرنا العظيم خليل مطران موضع الرضى فأهدي إلى هذه القصيدة الرائعة فضلاً منه أتقبله مخوراً شكوراً . وأكره أن أؤثر به نفسي من دون الذين يحبون الشعر الرفيع ، بل أكره أن يحملني التواضع الكاذب على إخفاء هذه المكرمة التي أن صورت شيئاً فأنما تصور نفساً كريمة وقلباً عطوفاً » .

وتدل كلمات طه حسين على أنه نشر القصيدة ، غير أن نص كلمات طه حسين ونص القصيدة نفسها يفرينا باستعادتها ، لنستشعر روعتها التي وصفها بها طه حسين .

يقول نص تصيدة خليل مطران التي لم يبعد بها الزمن عن تاريخ
نشر « دعاء الكروان » التي قيلت فيها ، وكان ذلك سنة ١٩٣٤ :

دعاء هذا الكروان الذي	خلدته في مسمع الدهر
له صدى في القلب والفكر من	اشهى متاع القلب والفكر
لكنه مشج بترجيعة	لما جرى في ذلك القفر
اذ تسكن البيداء وهنا فما	ينبض الا مهج السفر
والليل في التيه السحيق المدى	يطبق جفنيه على وزر
والطائر المرتاع في جوه	ينذر بالمأساة في ذعر
يرن ارنان سهام رمت	حيث رمت بالشعل الحمر
اسال دمي خطب مطلولة	مقتولة في زهرة العمر
جنى عليها واهم انه	يثار للعرض وللطهر
وخامرتني حسرة خامرت	شهود ذاك المصراع النكر
اليس للأرواح في بثها	اواصر من حيث لا ندري
جوهرها فزد واحساسها	مشترك في النفع والضر
حادثة في ريف مصر جرت	ومثلها في الريف كم جرى
قصت علينا قصصاً شائقة	في كلم أنقى من القطر
مسرودة سرداً على صفوة	افعل في النفس من الخمر
بالغة العرب التي كاشفت	طه بها هانت من السر
من أي روض يجتنى مثل ما	جنياه من ازهارك النضر

من اى بحر والمنى دره يصاد ما صاد من السدر
من اى تبر فى غوالى الحلى يصاغ ما صاغ من التبر
آيات طه نزلت بالهدى استعارت فتنة السحر
أحدث ما جاءت به طرفة بديعة فى أدب العصر
جلت خيال الشعر فى صورة أغارت الشعر من النثر

★ ★ ★

ولم يقف الأمر بين عميد الأدب وشاعر القطرين عند حد الرسائل
بل كانا يلتقيان كما تدل على ذلك الرسالة التالية التى يقول فيها خليل
مطران :

٣ مارس ٤٧

حضرة صاحب السعادة استاذنا

الأكبر مفخرة العلم والأدب .

الدكتور طه حسين بك

عدت من حلوان بعد اسابيع طوال قضيتها بمستشفيا وقد خفت
عنى العلة ولكنها لم تزل ، واشعر بضعف ما زال شديداً أخشى الا يمكننى
من التشرف بزيارتكم يوم الأحد القادم فاعتذر على أسف شديد
منى ، ولكننى اذا شعرت بتحسن لم أحرم نفسى نفع العلة من شوقى
اليكم ، واعرف انكم ستغفرون لى تلك المناجاة .

ارجو تقديم احترامى الخالص لحضرة السيدة الفاضلة الكاملة عقيلتكم،
وتحياتى لنجليكم النجيين النابغتين ولا افرق بين الذكر والانثى ذكساء
وثقافة وطهارة اخلاق ، ثم اكرر لاستاذنا الاكبر آيلت ودى واجلالى .

المخلص

خليل مطران

★ ★ ★

ويحكم هذه العلاقة الحميمة بين عميد الأدب وشاعر القطرين ، أراد مطران أن يخرج من طه حسين مفاجأة للمسرح القومي الذي يديره ، فيلج عليه ويكثر في الإلحاح أن يؤلف مسرحية ، وطه حسين يعترف لعدم قدرته على الكتابة للمسرح لأنه يتطلب قدرات خاصة وظروفا خاصة لا تتوفر له ، ولكن خليل مطران لا يفقد الأمل ، فيقترح على طه حسين أن يشترك معه توفيق الحكيم في تأليف المسرحية المنتظرة ، فلا يجد طه حسين مفرأ من مطران فيعده في مفاتحة الحكيم في الأمر ، فقال له :

انه لا يحسن كتابة الحوار التمثيلي ، ولذلك يطلب منه الاشتراك في تأليف المسرحية التي يريدونها « خليل مطران » ، فيتفقان على اللقاء في هذه القرية الجبلية لاتمام هذا المشروع ، وعندما يذكر توفيق الحكيم ، طه بما اتفقا عليه ، يجد الحكيم ، طه مشغولا بمشروعه الخاص عن « المتنبي » ، ولعل ذلك ما جعل اشاعة تصل الى « خليل مطران » عن ان المسرحية التي سيشترك في تأليفها طه ، والحكيم ، تدور حول « المتنبي » مما جعل « خليل مطران » يسرع بكتابة رسالة الى توفيق الحكيم يقول فيها :

« أفكر طويلا فيك وفي استاذنا الجليل الدكتور طه بك ، واتصوركما جالسين متعاونين في إبراز قصة المتنبي على ما سمعت فأغبطكما واتمنى لو تسنى لى السفر وكنت كاتب يدكما . انا لنرتب منكما ما نرتب ، والفن التمثيلي مشوق اشد الشوق الى الفجر الذي ستطلعهما عليه في اللغة العربية بعد ليلة الدامس الطويل فبارك الله فيكما واناكما الصحة والقوة . وغاية ما أرجوه هو ان يمتد بى اجلى لاكون من اشهاد فوزكما ان لم يتيسر لى أن اكون من خدمته . »



ولكن طه والحكيم كانا مشغولين في المداعبة التي انتهت الى كتاب « القصر المسحور » ، ورأى الحكيم أن يصرف نظر « مطران » عنها وعن المسرحية التي لم تكتب ، فطلب اليه أن يرسل اليهما ما كان قد كتبه هو من مسرحية كانا يعلمان أنه شرع فيها ، وهى عن « هارون الرشيد » ولكن « مطران » قال فى رسالته انه غير مستطيع ارسال شىء منها ، فان

ضعف صحته وتقدمه في السن يجعله لا قبل له حتى بالنظر الى أوراقه القديمة .



اما علاقة طه حسين بالمشرح فقد ظهرت في ترجمته لبعض روائع الإغريق ، وفي عضويته للجنة ترقية المسرح ، غير أن معاداة وزير الشؤون الاجتماعية لطه حسين بسبب مهاجمته لادارة الدعاية بالوزارة — كما سيأتى تفصيله فيما بعد — جعل الوزير يقوم بتعديل اللجنة لإبعاد طه حسين عنها ، مما جعل طه حسين يسرع بالاستقالة من كل اللجان التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية حتى يكون الأمر بيده لا بيد عمرو ، كما يقول في رسالته الى « خليل مطران » والذي كان سببا في انثائه من قبل من العدول عن تقديم استقالته من لجنة ترقية المسرح ، حتى لم يعد هناك بد مما منه بد ، بعد أن أظهر وزير الشؤون الاجتماعية نواياه صريحة واضحة لا لبث فيها ولا القواء ، ضد طه حسين الذي يقول في رسالته لخليل مطران :

صديقى العزيز مدير الفرقة القومية لعلك تذكر أنى كنت ملجأ فى الاستقالة من لجنة ترقية المسرح ولم يمنعنى من ذلك الا الحاحك على البقاء والاحرصى على ايثار الذوق فى ألا استقيل فى الوقت الذى دعيت فيه اللجنة الى الاجتماع فى منزل سعادة الرئيس . . وقد تطف حاضرة صاحب المعالى وزير الشؤون الاجتماعية فسبق الى ما كنت اريده ، واعفانى من عضوية هذه اللجنة الموقرة فله على ذلك اجمل الشكر واصدقه . وانما اكتب اليك هذا الكتاب لاشكر لك ولحضرات الزملاء حسن رعايتكم لى اثناء عملى معكم ، ثم لابلغك أن هناك لجنة لعل صاحب المعالى الوزير لم يعرف أنى عضو فيها وهى لجنة القراءة ، وما احب ان اكلفه تعديل هذه اللجنة واعفانى من العمل فيها ، فأرجو أن تبلغه وتبلغ لجنة ترقية المسرح أنى مستقيل من لجنة القراءة بيدي هذه المرة لا بيد عمرو .

ولك منى أصدق التحية

واخلص الود .

٧ نوفمبر ١٩٣٩ .



ولم يخرج الى النور مشروع المسرحية التي تبناها خليل مطران من طبعه حسين وتوفيق الحكيم ، اللذان انشغلا بشهرزاد وبقصرها المسحور .

وفي شهر أغسطس ١٩٣٦ ذهب طبعه حسين وأسرته ، ومعهم توفيق الحكيم الى قرية « كبلو » ، ثم ترك الحكيم ، طبعه ، ليكمل الأخير بقية « القصر المسحور » ، و « المتنبي » ، مما شغله عن مراسلة توفيق الحكيم ، فراح يعتذر له في رسالة بعث بها اليه في ٢٥ أغسطس ١٩٣٦ ، على « سالزبورج » بالنمسا حيث اقام الحكيم هناك بعض الوقت لحضور « المهرجان الموسيقى » المقام هناك حيث كانت تقام حفلات الموسيقى « توسكاتيني » ، وتعرض مسرحية « فاوست » « لجوته » ، من اخراج « ماكس راينهارت » ، ذلك بينما كان طبعه حسين مشغول بالقراءة والاملاء بشكل متواصل حتى أجده التعب وأصابه المرض ، حتى اذا عاد اليه شيء من التحسن في صحته املى خطابه الى توفيق الحكيم ، الذي قال له فيه :

« فلعلك تعذر هذا الصمت الذي اكرهته عليه اكرهاواتنا مرسل اليك بقية « القصر المسحور » وقد وقعت كما ترى في نصلين ، فاصبح الكتاب كله أن صبح أن يسمى هذا كتابا — ستة عشر فصلا .

ويضيف طبعه متسائلا متردداً في نشر الكتاب « لا ادري ايستحق هذا الكلام الذي كتبته انا على الاقل أن يطبع ويذاع وانت تعلم انى سيء الظن جداً بكل ما اكتب ، فكيف بهذا الشيء الذى لم يتعود الناس قراءة مثله ، وهو كما تعلم مزاج كله ، ولا بد لى ان افكر في طبع هذا الكلام او اذاغته من ان اميد قراءته كله لارى ايستطيع ان يقف على قدميه ام يحسن ان يهمل ، وحسبه انه سلانا نحن في اثناء اقامتنا في الجبل .



غير ان طبعه حسين بالاتفاق مع توفيق الحكيم قد قرر طبع « القصر المسحور » ونشره على الناس ، حيث صدرت طبعته الاولى في العام التالى ١٩٣٧ ، ولم يجسد طبعه حسين باسماء بعد ذلك في ان يهدى

هذا الكتاب لمن يريد اهداء لهم ، ومنهم كوكب الشرق أم كلثوم ، كما تدل على ذلك رسالتها غير المؤرخة الى طه حسين والتي تقول فيها .

سيدى الاستاذ الجليل طه بك حسين

حظيت بمؤلفكم « القصر المسحور » الذى تفضلتم باهدائه الى فاكبرت منكم ذلك العطف الكريم ، ولا شك عندى فى اننى سأجد بين طياته غذاء يضاعف شكرى ويحفظه لكم فى نفسى اجمل الذكريات — ادامكم الله مناراً للعلم والادب .

أم كلثوم

ابراهيم

★ ★ ★

ولم يكن طه حسين وتونيق الحكيم وحدهما اللذان تأثرا « بشهرزاد » ، فالشعراء أيضاً تأثروا ومنهم العقاد ، ومن شعراء المسرح الشعري تأثر كثيرون ومنهم « عزيز اباطة » الذى اختلف معه طه حسين حول مسألة عرض القصص التمثيلية شعراً ، وسنتبين ذلك من خلال اهداء عزيز اباطة لمسرحيته الشعرية « شهریار » — الى طه حسين — والذى يذكر فيه ان طه حسين كان له بعض الفضل فيها ، فيقول فى اهدائه المطول :

« الى الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين

(وما أريد أن أخفى على صديقى

الأستاذ عزيز اباطة انى

لست من الكلفين بالقصص

التمثيلية التى تعرض على الناس

شعراً فى هذه الأيام ،

وشعراً عربياً بنوع خاص)

هذا كلام قلته في مقدماتك المسرحية « غروب الاندلس » وعسفة
الناس عنك . ولكننا مع ذلك — زميلي وأنا — نقدم لك هذه المسرحية
الشعرية « شهريار » هدية مرفوعة . وما نظن أن لك حيلة إلا أن
تقبلها .

ولعلك تذكر أنك منذ سنوات كتبت قصة قصيرة عن « شهرياد »
وأختها « دنيازاد » ، وتفضلت فأهديتها الى . فظلت منذ حظيت بهذا
الايثار اجول أن امرغ لمعالجة تلك الأسطورة الرائعة ، ولكن شواغل
الحياة تتجسم وتترافف فاهمل وأهمل ، ثم وانأى بعد ذلك صديقي
الأستاذ « عبد الله البشير » بمسرحيته عن « شهرياد » كتبها بالانجليزية
ليمثلها طلبته بمعهد المعلمين فاحتشفتنا لهذا الموضوع على بعض هديك
فكانت هذه المسرحية .

فإذا نحن أهديناها اليك . فذلك لأنك الى جانب مكانك السابق
في سلوة الأديب صاحب وحيها وباعث فكرتها .

فانظر كيف تتضامر الأسباب لتجعل حتما من الحتم أن يحمل اليك
بعض ما تكره أو على الأقل بعض ما لا تحب .

وكأنى أشهدك الآن يا استاذي الجليل وأنت تضرب كفا بكف . بل
لكأنى أسمعك مخافتاً تتمثل بقول الحارث بن عباد :

لم أكن يوماً من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مارس ١٩٥٥

عزيز أباظة

★ ★ ★

ولم تكن « شهرياد » في حياة طسه حسين وتوفيق الحكيم مجرد
وسيلة عبث ولهو ، بل كانت أداة للتنبيه الى الظلم ، ورمزاً لمقاومة

الظلم ، في أيام سود لم يكن هناك بد معها من الرمز والتورية ، على لسان « شهرزاد » التي عاشت في مكان غير المكان ، وزمان غير الزمان ، ولكن كلماتها التي أنطقها بها طه حسين ، أو توفيق الحكيم ، أو العقاد ، أو من بعدهم عبد الوهاب البياتي ، وغيرهم من الأدباء والشعراء ، هي كلمات تدل على الزمن الحاضر في المكان الحاضر .

شهرزاد طه حسين تقول للملك :

« الم يخطر لك أن للشعب حقوقاً يجب أن تؤدي إليه ،
وان أوقات الملوك ليست خالصة لهم من دون الرعاية ؟ » .

قال طه حسين هذا الكلام في « أحلام شهرزاد » في وقت كان فيه ملك مصر عابثاً لاهياً عن شعبه ، بمغامراته وملذاته .

أما توفيق الحكيم فقد سمع الملك نفسه بكتابه عن « شهرزاد » وكانت مشكلة أراد الحكيم الهروب منها .

يقول توفيق الحكيم (*) :

جاء ذات يوم مخبر الأوبرا — كان إيطاليا يعمل مربيا في القصر —
واسمه « كاتوني » ، إلى وزارة المعارف ، وكنت مديراً للتحقيقات ،
وقال لي :

كنت مع جلالة الملك فاروق ، وسألني : تعمل إيه يا « كاتوني » ؟

فاجبته : أقرأ الترجمة الفرنسية لمسرحية « شهرزاد » وأبني أن
أضع لها النوتة الموسيقية لكي نقدمها على المسرح .

فقال لي الملك : لم أقرأ هذه المسرحية .

وسمع الحديث « العشماوي به » وكيل الوزارة .

نقال : يا خير . . ده أمر رسمى بتقديم نسخة من « شهرزاد » ومهداة
بخط يدك الى صاحب الجلالة .

وتهرت بهذا الجواب : دعنى أولا أفتش لك عن نسخة المسرحية .

وقمت الى مكتبى وعثرت على نسخة فجعلت اقلب صفحاتها . وتلت
فى نفسى : وهل سيفهم الملك فاروق المحدود الثقافة ما كتبت ؟

اننى لست من هؤلاء الكتاب الذين يرسلون بنسخ من نتاجهم الى
الملوك والرؤساء لمجرد الاهداء ، فلم أفعل هذا قط فى حياتى ، وأنا أقدر
القادة الذين يقرأون ، ولا أهدى كتبى الى أشخاص أعرف سلفاً أنهم
سيكتفون بركنها لمجرد الزينة فى زوايا المكتبات ، كما أننى لا أهدى أبداً
كتاباً بالمراسلة لأشخاص لا أعرفهم .

المهم أن « العشماوى بيه » نسى حكاية « شهرزاد » ، وأحيل
« الكانتونى » الى المعاش ، ولم أرسل الكتاب الى فاروق .

نعم انى أدعو الأدباء والمفكرين الى النأى عن الحكام فذلك يعطيهم
حرية النقد الموضوعى البناء .

★ ★ ★

أما طه حسين فقد كان له منهج آخر يرى الاتصال بالملوك
والأمراء واهدائه كتبه لهم ، وإعلان ولائه لهم ، كما حدث اثناء العصر
الملكى .

ويدافع الذين يتبنون وجهة نظر طه حسين فى هذا الشأن ،
بأن ذلك أيضاً كان مقترفاً بمناهضة طه حسين لذلك النظام ، ولا معنى
لهذا التناقض — فى رأيهم — الا أن طه حسين كان يفعل ذلك ذراً للرماد
فى العيون ، من أجل أن يحقق للشعب — وهو آمن شر الحكام —
مكاسب أكبر فى التطعيم والثقافة .

★ ★ ★

ورغم خدمة الظروف لتوفيق الحكيم في الالتزام بمبعثه بعدم اهداء
كتبه الى الحكام ، ابتعاداً بنفسه عنهم ، إلا أن عزلة هذه لم تكن
انعزالاً للفكر عن أى نشاط سياسى أو اجتماعى ، أو كما يقول هو
بنفسه فى مذهبه « التعادلية » :

فالعزلة التى دعوت اليها هى العزلة عن
السياسيين لا عن السياسة ، وعن الأحزاب
لا عن المجتمع .

ويذكر توفيق الحكيم (*) :

نشرت مقالاً جعلت فيه الملك فاروق فى صورة « الملك شهريار »
المشتهر وهو غارق فى لهوه ومبته وجنونه ، فجاءته النصيحة فى صورة
« شهرزاد » العاتلة تقول له أن يفيق من مبالله وملذاته ويلتفت الى
شعبه ، ويضع فى يده الحرية التى تمكنه من النهوض ومن اصلاح
احواله .. وكلام من هذا القبيل استلقت النظر ، وقابلنى وقتئذ النائب
العمومى « محمود بك منصور » فى محل « جرومى » وقال لى : خذ
بالك هذا المقال عن « شهريار » ... فلم أجعله يتم وقلت له : ما له ؟
انه من ملك الف ليلة وليلة . فابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : انت
فاهم وأنا فاهم .. المهم أن تكون حريصاً ، وأقولها لك كصديق .

★ ★ ★

وهكذا كانت « شهرزاد » صديقاً مشتركاً لطفه حسين وتوفيق
الحكيم ، فى الجسد واللعب ، فى السياسة ، والتسلية .

وتمر السنوات ولا ينسى طفه والحكيم ذكرى لقائهما على جبال
الألب ، فطفه حسين يخاطب الحكيم وهو يقدمه للجميع كعارفه
بمناخ شخصيته بعد أن خبرها وعرفها منذ اقتربا على قمة الجبل ،
فيقول له :

انت أعطيت من نفسك صورة أخرى : صورة الرجل الذى لا يحسن
أن يتصرف فى الحياة ، لا يستطيع أن يسافر الا أن يعينه على السفر

(*) حديث مع طفر - الأهرام ١٩/٤/١٩٨٣ .

معين ، ولا يستطيع ان يركب السيارة دون ان يحسب لركوب السيارة
الف حساب . فانت تشفق من كل شيء ، وتخاف من ايسر الاشياء ،
وتسرع الى الصباح دون ان تحتاج الى ان تصبح ، كأن الدنيا من حولك
نذر واهوال تريد ان تنوشك من كل قطر من اقطارها وتريد ان تلتهمك
التهاماً . وانت تفكر كيف اتعبتنا واتعبت غيرنا من اصدقائك ، وكيف
اتعبت نفسك حين اردت ان تأخذ الطائرة لتذهب الى « سالزيبورج »
لتشهد تمثيل احدى قصصك هناك . كنت مشفقاً من الطائرة قبل ان
تركب الطائرة باكثر من شهر . وكنا ننفق من الجهد ما ننفق لنشجعك
وتسليك ونغريك ونعطيك من قوة تعينك على ان تركب هذه الطائرة ،
ونؤكد لك انك ستركب الطائرة وتعود منها سالماً .

والمدعش انك ركبت الطائرة وذهبت وعدت كما يذهب غيرك ويعود،
ولم تكن في حقيقة الامر خائفاً ولا ملتماً ، وانما تكلفت كل هذا تكلفاً ،
ولست أنسى حين دعوتك للقائى على قمة جبل من جبال فرنسا فكنت
الى مرتاعاً ملتماً مشفقاً من الهول كل الهول ، وفي الوقت نفسه صورت
نفسك صورة الانسان الذى لا يستطيع ان يترك باريس لانه يحب لونا
من الوان الطعام لا يكاد يوجد في غير باريس . اشفقت ان تصعد الجبل
وكرهت ان تنفق اياماً لا تنفق فيها هذا اللون من الطعام .

انت اذن — طائفة من المتناقضات .

وتمر السنوات ويتذكر توفيق الحكيم ايضا تلك الايام التى قضاها
وطه حسين على قمة الجبل ، حين يقول في حديث صحفى (*) قبل وفاته
بسنتين :

« كنا نريد اللهو ، وكانت شخصية « شهرزاد » التى طغت على
الشخصيات الادبية فى الادب العربى ، موضع هذا اللهو .

ان « شهرزاد » تعد اشهر الشهيرات ولا أحد ينكر معرفتها ، لهذا
اردنا اللهو بها ، ولكن خلال تبادلنا الرسائل ، اكتشفنا ان « شهرزاد »
هى التى سخرت منا ، سخرت منى ومن طه حسين ، ومن كل
الادباء .

(*) مع اقبال فهمى بصحيفة « الحياة الاسبوعية » ، لى ١٢/٤/١٩٨٥ .

محنت توفیق الحکیم وطہ حین

«... للثقافة علم أهلها مقوماً
أبصرها التضامن والوفاء، و(....)
من الآثام في ذات الثقافة أن
يظا هر متقف علم متقف، أو
يعين أدیب علم أدیب.»
طہ حین

(١)

بعد عودة توفيق الحكيم من المصيف من فرنسا وجد نفسه منقولاً كمدير لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف إلى إدارة أخرى صورية، تطورت إلى « إدارة الدعاية والإرشاد » التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وذلك عقباً لتوفيق الحكيم على تطاوله على زعماء « الديمقراطية المزيفة » آنذاك ، وفيها بين سنتي ١٩٢٨ وسنة ١٩٣٩ التي وقعت فيها هذه التطورات ، كان لطفه حسين موقف واضح مما مر به صديقه توفيق الحكيم ، فقد تضامن معه فيها أسماه « محنته » ، ولكنه هاجمه وهاجم وزارته بعنف عندما صار مسئولاً عن « الدعاية والإرشاد » .

★ ★ ★

كانت العادة في تلك المرحلة من تاريخ مصر في الثلاثينيات أن تدين كل حكومة جديدة سابقتها وتصحبها وتنسب إليها ما أمكنها من النقائص، ولعل ذلك سنة لا تزال آثارها مستمرة في مجتمعاتنا حتى أن كل حكومة تبدأ عملها معلنة أنها ورثت تركة ثقيلة وهيوما وديونا ، وأنها مستعيد البناء من جديد ، كان الدنيا لم تبدأ إلا منذ تسلمها السلطة ، وأن العمل والتطور لم يبدأ إلا معها ، وما سبقها كان جاهلية وتسيباً وعدم تقدير للمسئولية ، وأن عهداً هو العهد الذي طال انتظاره ، والذي ستبدأ معه بشائر الحرية والديمقراطية والرخاء والنهضة الجديدة التي سيتمتع فيها مواطنوها بالسمن والعسل ، بعد أن كانوا يعيشون في « المسلح والبصل » ، هكذا تزعم كل حكومة جديدة ، فتلمن سابقتها ، وتبدأ من

جديد ، أو تهدم ما بنته الحكومة السالفة ، وهكذا نبدأ من جديد دائماً ولا ننتهى الى نتيجة ، فضاعت شخصيتنا ومسخت هويتنا لأن كلا منا ينكر فضل صاحبه ، ويعمل على محو أى انجاز لسابقه ، هكذا أرادوا من توفيق الحكيم كمدبر للتحقيقات « بوزارة المعارف » عندما تغيرت الوزارة بأخرى جديدة ، وجاء على رأس « وزارة المعارف » « نجيب الهلالي » صديق الحكيم ، ففرح هو ووكيل الوزارة « العشماوى بك » ، صديقه هو أيضاً ، الى ان جاء يوم وطلب الوزير الصديق ، توفيق الحكيم وقال له بلهجة الجد(*) : ان مكتب الوزير السابق فى العهد البغيض — كما كانوا يسمونه — كان بؤرة للأعمال المشبوهة . وطلب الوزير من توفيق الحكيم بصفته مديراً للتحقيقات ان يصدر قراره باستبعاد موظفى هذا المكتب وايقاف مديره صديق الوزير السابق باعتباره رأس الفساد وان الفساد ظهر من التلاعب بمجانية التعليم التى ذهبت لغير مستحقيها .

وكان رد الحكيم انه كوكيل للنياحة (سابقا) لا يمكن له وقف أو استبعاد أو أى اجراء ضد أى موظف الا بعد تحقيق . فكان رد الوزير عليه بلهجة جادة : حقق وبسرعة !

غير ان توفيق الحكيم نظر للقضية نظرة عادية ، بينما هى عند وزير العهد الجديد غير عادية لانه متمجلا لادانة الوزارة السابقة لتظهر وزارته فى صورة من يحارب الفساد ، واستبطا الوزير ، توفيق الحكيم الذى اخبره انه لا يزال يجرى تحقيقاته ، فسخر الوزير قاتلاً بشيء من الشدة :
أى تحقيق ؟!

وطلب منه ايقات مدير مكتب الوزير السابق قبل أى شيء !! واندعش الحكيم من منطق الوزير الذى قبل ان يكون وزيراً كان وكيل نيابة مثله ، فكيف سمح لنفسه ان يدوس على القانون الذى كان مدافعاً عنه ، بعد ان صار وزيراً ؟! ، وشكا الوزير لصديقهما المشترك « عشماوى بك » وكيل الوزارة ، من تهاون الحكيم ، فقد كان الوزير متمجلاً ليعرض على مجلس الوزراء فى اجتماعه القادم نتيجة التحقيق الذى يدين الوزارة السابقة .

(*) توفيق الحكيم - حديث مع نفسى - الاهرام ، ١٢/٤/١٩٨٣ .

ولما لم يكن الحكيم قد أنجز بعد شيئاً مما يراد منه ، فقد سرب الوزير الى الصحف ما خرجت به مانشيتاتها عن قضية المجانية والفساد وتفصيلاته مما لدى توفيق الحكيم من أوراق عن القضية التي لا يزال يحقق فيها ولم تظهر نتيجتها بعد ، وطلب وكيل الوزارة من الحكيم ، العمل على عدم احراج صديقهما الوزير ، ولكن الحكيم مضى في تحقيقه المعتاد دون أن يعبا بأمور الصداقة ، مصمماً على أن يكون الحق وتكون الحقيقة هي الصديق الوحيد في مثل هذا الموقف ، حتى اكتشف الحكيم أنه حدث تزوير في امضاء الوزير السابق على أوراق المجانية ، وتم تحويل القضية الى النيابة لتكتشف أن المتهم الحقيقي للتزوير كان شخصاً من غير موظفي الوزارة ، فتم تقديمه للمحاكمة وحكم عليه بالسجن .

وهكذا ظهرت الحقيقة ، ولكن بعد أن تم تشويه صورة الوزير السابقة ووزيرها بالباطل لأغراض سياسية .



وكان هذا المشهد وغيره مما دعا توفيق الحكيم الى نقد الأوضاع القائمة والمطالبة بالاصلاح ، فكان مما كتبه في ذلك الوقت مقالا في ٢٠ أكتوبر ١٩٣٨ ، بمجلة « آخر ساعة » ، تحت عنوان « انا عدو المرأة والنظام البرلماني لأن طبيعة الاثنين في الغالب واحدة .. الثرثرة » ، ومطالب باستثمار الأموال التي تنفق على البرلمان في انشاء مصنع تحفشد فيه — بدل جموع الأعيان الموسرين — افواج العمال المصريين العاطلين مؤكداً أننا بحاجة الى معمل انتاج لا معمل « كلام » يصيح فيه البعض « ويتساب » البعض الآخر . ومضى الحكيم في اقتراحه منادياً بضرورة وجود حكومة قليلة التصريحات ، سريعة العمل ، وهذا يستلزم أن يكون اعضاؤها بدون لون حزبي واضح ، وأن يقل عددها بحيث تقتصر على اصحاب الخبرة فقط ، بل مضى الحكيم الى أبعد من ذلك حينما رشح أسماء الوزراء للحكومة التي اقترحها ، واغضب الحكيم رجال السياسة كلهم بعد أن وصفهم بـ « زعماء الديمقراطية المزيفة » ، وانتظر الجميع من رئيس الحكومة « محمد محمود باشا » الذي هو في نفس الوقت رئيس حزب « الأحرار الدستوريين » أن يقوم بفصل توفيق الحكيم باعتباره موظفاً في وزارة من وزاراته ، ولكن تدخل بعض أعضاء الوزارة من الأدباء والمفكرين كالدكتور محمد حسين هيكل باشا والشيخ مصطفى عبد الرزاق .

حال دون فصل توفيق الحكيم ، وعملوا على حل الأزمة بوسيلة أخرى وصل التشاور فيها الى الخصم من مرتب الحكيم ، ولم يكن الخصم يبيع للوزير بأكثر من خمسة عشريوما ، في الوقت الذي قرر فيه الحكيم الاستقالة ، غير أن اصدقاء له نصحوه أن يظل في موقعه ويتمسك بمواقفه .

★ ★ ★

وسافر الحكيم صيف عام ١٩٣٩ ليعود من مصيفه مع طه حسين ليجدهم قد انشأوا ادارة جديدة انشاء مفتعلا سوريا أسموها « ادارة التمثيل والموسيقى » ، لينقلوا الحكيم اليها بعيداً عن « ادارة التحقيقات » التي أرسل موظفوها مبرقين الى توفيق الحكيم يخبرونه بهذا النقل وهو لم يزل بعد في مصيفه ، ويطلبون منه الحضور بسرعة ، فعاد ليجد نفسه أمام الامر الواقع مديراً على الورق لادارة لا اختصاص لها .

وكان ممن وقف بجوار الحكيم ، « حنفي محمود » عضو البرلمان الذي هاجمه الحكيم ، وهو في نفس الوقت شقيق رئيس الوزراء « محمد محمود باشا » مفكراً « حزب الاحرار الدستوريين » الذي يرأسه أخوه بمواقفهم النبيلة من الشيخ على عبد الرازق أثناء ازمته في كتاب « الاسلام واصول الحكم » ، ومن طه حسين أثناء أزمة كتابه « في الشعر الجاهلي » ، وكلهم كانوا موظفين كتوفيق الحكيم ، متسائلا عن هذه الديمقراطية التي لم تكن تمارس كبدا للجميع ، فكل حزب يطبقها حسب مصالحه الخاصة .

ورغم أن زملاء توفيق الحكيم الأدباء في الوزارة قد انقذوه من الفصل، الا ان المجتمع الادبي قد التزم الصمت ، مما جعل الحكيم يشكو في مجلة « الرسالة » ما أسماه بالاجراءات المهينة التي اتخذت ضده دون أن يجد في عالم الادب من يدافع عنه ، فقد خرست كل الجرائد التي طالما رفع صوته على صفحاتها ، مؤكداً « أنهم لم يدركوا الخطر الذي يهدد الادب والأدباء اذا هم شعروا يوماً أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا ما في نفوسهم » .

وأحسن توفيق الحكيم بأنه نجح لا في شخصه ولكن في مركز الأديب في الشرق ، وأن المكانة الأدبية وهم من الأوهام ، وأن الأدباء أنفسهم هم المسئولون في الغالب عن انخفاض شأنهم لخذلان بعضهم البعض .

لقد كانت أزمة حقيقية لتوفيق الحكيم جعلته يترك شقيقته ويعود ليعيش من جديد شريداً كما يستحق أديب في الشرق أن يعيش ، حسب تعبيره .

وراح الحكيم يكتب عن الديمقراطية ومستقبلها في مسرحية « مشكلة الحكم » عام ١٩٣٩ ، وكتب عنها طه حسين في مجلة « الثقافة » وأشار الى ما أسماه « محنة » توفيق الحكيم التي أوجت بها . غير أن الحكيم رأى أن طه حسين وإي ناقد أو باحث آخر لم يفلطن الى ما فيها من تنبؤ أو رأى بأن فشل الديمقراطية يؤدي الى الديكتاتورية . واستشهد توفيق الحكيم بقولة رئيس وزراء فرنسا « فلانندان » الذي صاح يوماً قائلاً :

إن البرلمان الفرنسي لم يعد له في فرنسا اعتبار فقد كف عن مراقبة أعمال الحكومة بالمعنى الحقيقي ، إنما الحكومة اليوم تحكم ارتكناً على شبه توكيل من أغليبيتها البرلمانية .

وقد وجد الحكيم في هذا القول انطباقاً على ما يحدث في مصر (الثلاثينيات) ، فالحصول على أغلبية برلمانية ، تمنح الحكم شبه المطلق .

وهذه هي الديكتاتورية المقنعة في صورة ديمقراطية .

ودعا توفيق الحكيم الى « العاصفة المباركة » التي تأتي « بالمبادئ الصحيحة السليمة » لتتقضى على « الفساد — الذي — جاء من عاصفة جائحة لمبادئ شوهت وأسيء فهمها » .



وجاء أول سبتمبر من سنة ١٩٣٩ وإذا بالحرب العالمية تقوم وتسقط وزارة « محمد محمود باشا » ، وتنشأ وزارة الشؤون الاجتماعية وتقسّم

الى ادارات تضم اليها اشتات الادارات المشابهة في الاختصاص والموجودة في الوزارات الأخرى القديمة ، وكان من بين ادارات وزارة الشئون الاجتماعية ، الجديدة ، ادارة سميت « ادارة الدعاية والارشاد » كلن من اختصاصها : المسرح والموسيقى والسينما والاذاعة والموالد ! ونحو ذلك ، وعلى هذا نقلوا توفيق الحكيم في الحال من « وزارة المعارف » ، الى « وزارة الشئون » ، وبهذه الطريقة تخلصت « وزارة المعارف » من توفيق الحكيم .

ومن العجيب ان وزارة الشئون الاجتماعية كانت هي احدى بنات افكار توفيق الحكيم نفسه ، والتي اقترح انشاءها في مقاله الذي هاجم فيه الممارسة الخاطئة للحياة الديمقراطية ، فإذا بهذه الوزارة التي اقترحها هي الخل الذي ساقه لهم للتخلص منه ، وهي العقاب له على جراته ، وستكون هذه الوزارة نفسها سبباً في خصام الصديقين طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وستكون وزارة الشئون الاجتماعية أيضاً سبباً في محاولة عقاب طه حسين نفسه لجراته هو أيضاً ، وهنا نصل الى أزمة طه حسين مع وزارة الشئون ، بل ازيمته كذلك مع توفيق الحكيم الذي كان مديراً « لادارة الدعاية والارشاد » في هذه الوزارة ، في الوقت الذي هاجم فيه طه حسين هذه الادارة التي على رأسها صديقه توفيق الحكيم ، وذلك لأن طه كان ضد الدعاية وضد الاعلان وما ينطويان عليه من خداع وزيف وباطل .

(٢)

بين ايدينا مقال املاه طه حسين ليس له عنوان ولا تاريخ ، ومن المرجح انه نشره رداً غير مباشر على انشاء « ادارة الدعاية والارشاد » ، ولاهية المقال وطرافته وصلاحيته كانه كتب للوقت الحاضر (الذى اصبحنا فيه اسرى للدعاية والاعلان) رغم مرور حوالى تسعين عاماً عليه ، وجدنا انه من الضروري أن نستعيد قراءته تدبراً وتفكيراً واستمتاعاً .

يقول طه حسين :

ضربت لسيف الدولة خيمة عظيمة عصفت بها الريح فقوضتها ،
وكان الناس قالوا في ذلك وتشاءوا به ، وسيء به سيف الدولة ، فقال
المتنبى ، بعزيه ويسليه ويرد اليه التناول والاسبشار :

ايقصدح في الخيمة المذل	وتشمل من دهرها يشمل
وتعلو الذى زحل تحته	محال لمرك ما تسال
فلم لا تلوم الذى لامها	وما نص خاتمها ينبل
تضيق بشخصك ارجساؤها	ويركض في الواحد الجفيل
وتتقر ما كنت في جونها	ويركر فيها القنا الذبل
وكيف تقوم على راحة	كان البحار لها امل

ثم قال :

رأت لون نورك في لونها كلون الغزلة لا يغسل
وأن لها شرفاً يأنحس وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكر لها صرعة فمن فرح النفس ما يقتل .

واكبر الظن أن سيف الدولة قد رضى عن هذا الشعر وهش لقائله ،
واكبر الظن أيضاً أنه قد أثابه عليه ثواباً حسناً . ولكن الشيء الذى
يشك فيه كل الشك هو أن أبا الطيب قد خدع سيف الدولة بهذا الشعر
عن الحقيقة الواقعة وهى أن الريح قد عصفت بخيمته العظيمة
فقوضتها ، فصرفه عن أن يضيق بالذين أقاموا له هذه الخيمة فلم
يحسنوا إقامتها أما لأنهم لم يثبتوها تثبيتاً تمتنع به على الريح وأما
لأنهم لم يوجهوها توجيهاً تقاوم به عصف الريح .

وما أشك فى أن ذكاء سيف الدولة كان أعق وأنفذ من أن يتجاوز
بهذا الشعر قدره فيصدقه ويطمئن إليه ، بل ما أشك فى أن المتنبى
نفسه لم يخطر له أن يغير رأى سيف الدولة فى الذين أقاموا له خيمته
أو أن يقر فى نفس سيف الدولة أن الخيمة سقطت لأن شخصه أعظم
واضخم وأعلى من أن تظله الخيام ، ولأن شخصه من لباهة الذكر
وجلالة القدر وارتفاع الشأن بحيث لم تكد الخيمة تشعر بأنها تها له
حتى أخذها الدل وملكها التيه فترنحت شيئاً ثم خرت صريعا . إنما قال
المتنبى شعراً ولم يرد أكثر من أن يقول شعراً يعجب صديقه . وسمع
سيف الدولة شعراً ولم يزد على أن سمع شعراً راقه وأعجبه ، ومضت
أمور الخيمة والذين أقاموها بعد ذلك على ما كان يجب أن تمضى عليه .

ولكن خيلاً كثيرة تقام غفداً ثم تعصف بها الريح فتصرعها لأطرافها
وأسبابها أو ترفعها فى الجو وتمضى بها مسافة تقصر أو تطول ثم تهوى
بها بعد ذلك فى مكان سحيق ، ويقوم المعزون والمسلون أو المروجون
والداعون من الذين أقيمت لهم هذه الخيام مقام « المتنبى » من سيف
الدولة فيقولون ما شاء الله لهم أن يقولوا ، ويزوقون ما شاء الله لهم
يزوقوا دون أن يبلغوا من ذلك ما بلغ « المتنبى » ، ولكن سادتهم
يسمعون لهم ويطمئنون اليهم ويصدقون ما قالوا ويخدعون بمازوقوا ،
ويؤمنون فيما بينهم وبين أنفسهم بأن خيامهم لم تصرع لأنها أقيمت على

وجه لا تستطيع معه مقاومة الريح ، وانما صرعت لانهم كانوا اكبر من أن تظلمهم الخيام ، ولأن همومهم كانت أبعد من أن تحتويها الخيام .

والظريف أن الذين تقام لهم الخيام والذين يغرونهم عنها حين تصرع يصدقون أنفسهم ويخدعون عنها فلا يحتاجون الى أن ينبههم الناس الى أنهم يحاولون عبثاً أو يقولون شعراً لأن ايمانهم بانفسهم وثقتهم بعقولهم ورضاهم عن أعمالهم . كل ذلك قد أقر في قلوبهم أنهم اعظم من أن يخطئوا وأعطى من أن يكتبوا وأمر من أن ييلفهم الخداع من قريب أو بعيد .

فكرت في هذا كله عندما نظرت في آثار هذه الظاهرة الجديدة التي منيت بها الحضارة في حياتنا الحديثة وهي التي يسمونها « الدعاية » . فليست أعرف خطراً على الحق مهما يكن موضوعه يشبه هذا الخطر المنكر الذي نسميه « الدعاية » . وما رايت في وسيلة أصبحت غاية ، وفي أداة أصبحت غرضاً ، وفي شيء كان الأصل فيه أن يتخذ سبيلاً الى الخير وطريقاً الى الإصلاح فطغى وبغى وعظم شره حتى لم يكفه أن ينحرف عن الجادة وأن ينتهي بالناس الى غير ما كانوا يطلبون منه .

لم يكفه ذلك واذا هو يصبح اصلاً من اصول الحياة وركناً من أركانها ، واذا هو يندس في فروع الحياة كلها فيفسدها ويجعلها شراً وبئلاً .

كان الناس في أول هذا القرن يعجبون بأمر هذه الظاهرة وينخدعون لها . وكان الباحثون عن ظواهر الحياة الاجتماعية يلاحظون تأثيرها العظيم في أمور التجارة ويحاولون تحليلها العلمي وتحليلها الفلسفي ، ولكنها لم تلبث أن تجاوزت التجارة الى غيرها من فروع الحياة ، فلم يقتصر أمرها على الترويج لما يباع ويشترى وانما تجاوزت ذلك فأخذت تروج لما يقرأ وما يكتب ، وأخذت تروج للآراء السياسية ومذاهب الناس في الحكم ، وأخذت تروج للحكومات القائمة وللأحزاب المختصة .

وما من شك في أن هذه الظاهرة قديمة منذ وجدت الجماعة المنظمة ، ولكن ما من شك في انها قد بلغت في العصر الحديث طوراً لم نقدر قط انها ستبلغه . والذي بلغ بها هذا الطور : « المطبعة » التي سهلت النشر ،

و « الصحف » التى انتظم ظهورها فى اوقات معينة من العام او من الشهر او من الاسبوع او من اليوم فى آخر الامر ،
والتي اخذت تواجه الناس مصبحين ومسيين فتلح عليهم بما تريد ان تلح
عليهم به ، وتدعوهم الى ما تريد ان تدعوهم اليه . وماذا يصنع الناس
وهم يدعون الى هذا الامر اذا اصبحوا ، ويدعون اليه اذا انتصف
النهار ، ويدعون اليه اذا اقبل الليل ، ويدعون اليه حين يخلون الى
انفسهم طامعين فى الراحة او راغبين فى الفراغ .

ثم لم يقف الامر عند الصحف ، وانما نشأت « السينا » ، ونشأ
« الراديو » ، والغيت مسافات الزمان والمكان ، واصبحنا خاضعين
للإعلان فيما نقرأ وفيما نسمع وفيما نرى . قد احاط بنا من كل ناحية
وسعى اليها من كل وجه ، وسلك الى قلوبنا وعقولنا من كل منفذ .
اخذ علينا المذاهب وسد علينا الطرق ، فنحن اسراء لا نخلص منه
الا حين نخلص من الحياة . فآى غرابة فى ان ندين له بالطاعة ونؤمن
لسلطانه الذى لا يقاوم ، ونستجيب لدعائه الذى لا يرد .

ليست الغرابة فى ذلك وانما الغرابة فى ان نقاومه ونمتنع عليه
ونخلص من شره قليلا او كثيرا . وما هى الا ان اصبح الاعلان كما
قلت اصلا من اصول الحياة وركنا من اركانها ، لا تجارة ولا زراعة
ولا صناعة ولا علم ولا ادب ولا فن بدونه ، بل لا حكم ولا سياسة
بدونه . واذا الصحافة تصبح سلطانا ثالثا يضاف الى السلطان التشريعى
والسلطان التنفيذى . واذا « الراديو » يريد ان يصبح سلطانا رابعا
يضاف الى هذه الالوان الثلاثة من السلطان . واذا الحضارة كلها تقدمت
اضافت قيودا الى قيود واغلالا الى اغلال حتى تصبح الحرية كلمة
لا تدل على معنى ، وغرورا لا يحتوى شيئا ، واذا نحن عبيد نحسب
انفسنا سادة ، ومقيدون نظن انفسنا احرارا . نخضع لهذه السلطات
الأربع (*) والى سلطات اخرى ليست اقل منها تحكما فينا واستئثارا
بالامر دوننا . وهذه السلطات محصورة فى ايدى قلة من الناس اليهم
التشريع واليهم التنفيذ واليهم الصحافة التى تكون الراى العام .

(*) كتب طه حسين هذا المقال ولم يكن التلفزيون قد ظهر الى الوجود بعد
ليصبح اقوى سلطة من السلطات المذكورة .

والظريف مع ذلك اننا نرى انفسنا احراراً سادة ، ونتبجح بتلك الحرية وهذه السيادة .

ونظن أنا نحن الذين ننتخب النواب والشيوخ ، وانما الاحزاب والصحف هي التي تصنع رأينا العام الذي ينتخب النواب والشيوخ ، ونظن اننا نأتى من الأمر ما نأتى ، وندع من الأمر ماندع لا نصدر في ذلك الا عن ارادتنا مع اننا انما نصدر عما اقرت الصحف والراديو والفين يلهمون الصحف والراديو في نفوسنا من المذاهب والآراء .

وليست السياسة هي التي تعينى حتى أفكر في هذه الظاهرة الجديدة القديمة الخطرة ، وانما يعينى شيء آخر اهم جداً من السياسة وامس منها بحياتنا العقلية وهو الثقافة التي تكون عقولنا وقلوبنا ، وتصور شعورنا ومزاجنا ، فقد تأثرت هذه الثقافة بالاعلان تأثراً شنيعاً منكراً .



وهكذا تعرض طه حسين لوزارة الشؤون الاجتماعية وادارة الدعاية بها من بعيد ، ثم انتقدها من قريب حين وصفها بأنها « وزارة لم تخلق غير مادة الكلام .. ومادة للدعاية » .

فكان من الطبيعي أن تعاتبه هذه الوزارة وكيف تعاقبه ؟ لقد استغفلت وجوده كعضو في « لجنة ترقية المسرح » التي صارت تابعة لها بعد انتقالها من وزارة المعارف اليها ، وقررت اقالة طه حسين من هذه اللجنة كمعاقب له على جرأته في نقدها ، وفي مقال طويل طريف ساخر ذكر طه حسين قصته مع وزارة الشؤون الاجتماعية وكيف انه كان حريصاً على الاستقالة-لولا أن « صديقاً وغيّاً أو خليلاً أميناً » هو « خليل مطران » ظل يحاول اقناعه بالبقاء ، فاستجاب له على غير رضى واقتناع ، وكانت النتيجة اقالته من « لجنة ترقية المسرح » ، ورأى طه حسين في ذلك « عقوبة » ، أو كما يقول في نص مقاله تحت هذا العنوان (والذي ننقله بصورته التي املاه بها فيقول :

ولكنها عقوبة حلوة قد كنت أرغب فيها أشد الرغبة واحرص عليها اعظم الحرص ، ويردنى عنها ود الأصدقاء وإيثار الذوق . فأمّا ود الأصدقاء فمن أشد الأشياء تأثيراً فى نفسى وصرفاً لى عن كثير مما أريد ، وحللاً لى على كثير مما لا أريد حين يتصل ذلك بشخصى ولا يمس منافع الناس . وإى شىء أيسر من أن تحمل نفسك على بعض ما تكره أو تصرمها عن بعض ما تحب لترضى بذلك صديقاً وفاقاً أو خليلاً أميناً . والأصدقاء الذين أشير اليهم الآن يشهدون بأننى كنت شديد الرغبة فى الخروج من لجنة ترقية المسرح منذ نزلت عنها وزارة المعارف لوزارة الشؤون الاجتماعية . وهم يعلمون أنى كرهت من وزارة المعارف تخليها عن « التمثيل » وهو غن من غنون الأدب الرفيع الذى يجب أن تعنى به ، وتقوم عليه ، لوزارة ليس من شأنها أن تعنى بالأدب الرفيع ، أو تنفق فيه جهداً قليلاً أو كثيراً ، وإنما أنشئت لإصلاح ما هو دون ذلك وما هو فوق ذلك من الشؤون التى تذهب فى واد بعيد جداً عن الوادى الذى تسلكه الفنون الجميلة . ولكن هؤلاء الأصدقاء رغبوا الى والحواء على فى أن أبقى عضواً فى « لجنة ترقية المسرح » ، وقال لى فى ذلك قائلهم كلاماً كثيراً لم يقنعنى ولم يكن من شأنه أن يقنعنى ، ولكننى مع ذلك نزلت عنده إيثاراً للود وحياء من رد الصديق . وأما إيثار الذوق فقصة أخرى فيها شىء من الدقة لعلها لا تبلغ بعض النفوس ، ولكنها تبلغ نفسى المتواضعة . ولعلها لا ترقى الى بعض العقول ولكنها ترقى الى عقلى الضئيل .

وأعتقد أن فى مصر نفوساً متواضعة كنفسى ، وعقولا ضئيلة كعقلى ، تسيع من أمر الذوق مثل ما أسيع ، وتنبو من أمر الذوق عن مثل ما أنبو عنه .

لوزارة الشؤون الاجتماعية حديثة عهد بالوجود ولها على الناس الحق أن يعينوها مشيرين عليها وناقدين لها . وليس مما يلائم الذوق أن تكون عضواً فى لجنة فتستقيل منها ، لأن أمر هذه اللجنة قد صار الى وزارة الشؤون الاجتماعية على غير رأيك وهواك ، وإنما الذى يلائم الذوق أن تبقى فى مكانك وتمضى فى عملك ناصحاً لوزارة الشؤون الاجتماعية كما كنت ناصحاً لوزارة المعارف جاهداً فى خدمة الفن والأدب

ما وسعك الجهد ، فان استطعت البقاء على ذلك والنفع فيه لم تغير من امرك شيئاً ، وان احسست العجز عن ذلك أو اشفقت منه كنت قد اعذرت وكان من حقتك بل من الحق عليك أن ترفع استقالتك الى اللجنة أو الى الوزير .

وأخرى لم تكن أقل من هذه القصة دقة ولا أجدر من هذه القصة بالمحافظة فيها على ما يلائم الذوق بل على ما يلائم الادب .

وهي ان اللجنة التي كنت أريد أن أستقيل منها دعيت الى الاجتماع في بيت رئيسها صاحب السعادة الدكتور أحمد ماهر باشا فلم يكن من الذوق ولا من الأدب أن اتلقى هذه الدعوة الكريمة فأرد عليها بأنى مستقيل من اللجنة ، وانما كان أبسط الذوق وأيسر الادب ، وكان من الايثار لنفسى بالخير ايضاً أن استجيب لهذه الدعوة وأن أشهد اجتماع اللجنة وأن أنظر ما يكون فيها ، فان أعجبني مضيت في عملي والا اعرضت عنه واعتذرت منه .

وقد شهدت اجتماع اللجنة وانكرت بعض ما عرض فيها من رأى وبعض ما القى فيها من كلام ، ولكذى آخر الأمر لم أنكر من عمل اللجنة نفسها شيئاً ، فقد انتهينا الى ما كنا نحب ، واحتفظنا بالطريق التي رسمناها لأنفسنا واقترنا عليها وزارة المعارف حين انشأنا اللجنة منذ أعوام ، واستطعنا أن نلائم بين ذلك وبين ما أرادته وزارة الشؤون الاجتماعية مسرعة في ارادته ، متعجلة في القصد اليه غير مستأنسة بالبحث ولا متهلة في الدرس والتفكير .

وانصرفت بعد هذا الاجتماع راضياً مطمئناً الى أن اللجنة لن تنحرف عن طريقها ولن تغير من سيرتها قليلاً ولا كثيراً . وكنت أقدر انها ستبقى شيئاً من العناء بين حين وحين لتسمى الفكرة الأدبية العليا من بعض التهاون . وتعصبها من بعض الابتذال . ولكن الحياة كلها عناء وجهاد ، ولكن الثقة بأعضاء اللجنة وحسن وفائهم للمثل الفنى الأعلى كانا يقنعاننى بأن من الخير أن امضى فيها بدأت فيه وأن أرجىء التفكير في الاستقالة حتى يصبح التفكير فيها شيئاً محتوماً تفرضه على الظروف .

ونسيت لجنة ترقية المسرح وشتونها وانصرفت الى اعمال وشتون
أخرى حتى أمسيت ذات يوم فاذا نبأ في الصحف بأن وزير الشئون
الاجتماعية قد أعاد تأليف اللجنة فأخرج منها أعضاء وأضاف اليها
أعضاء . ثم أصبحت فقرات القرار الذي أصدره الوزير في بعض الصحف
الأخرى فاذا هو مصدق لما بين يديه من الأنباء وإذا هذا التعديل يحقق
فكرتين في وقت واحد ويصيب عصفورين بحجر واحد ، استغفر الله بل
يحقق فكرتين ويصيب ثلاثة عصافير . فاما الفكرتان فهما اخراج طه
حسين من لجنة ترقية المسرح من جهة ، وقطع الصلة بين هذه اللجنة
وبين وزارة المعارف من جهة أخرى . فقد كان لوزارة المعارف بقية من
اثر في هذه اللجنة ، وهو مدير الأوبرا الذي اختاره لعضوية اللجنة بناء
على اقتراح اللجنة نفسها وزير المعارف السابق .

واما العصافير الثلاثة التي أصابها قرار الوزير بحجر واحد فهي :

مدير الأوبرا ، ورئيس تحرير المقطم ، وطه حسين .

ومن الواضح أن رئيس تحرير المقطم قد أخرج من اللجنة مجاًناً أن
صح هذا التعبير ، فما كان أن يظهر القصد الى طه حسين ووزارة
المعارف صريحاً مجرداً بل لم يكن بد من وقاء ، وقد كان خليل ثابت هذا
الوقاء ، فليكن له منى اصدق الشكر واخلص الاعتذار .

على أن القوار قد أباح للجنة أن تضم اليها من شاعت من غير
أعضائها ، وفي هذه الإباحة ما يجيز للجنة أن أرادت أن ترد مدير
الأوبرا لمكانه الفني ، وأن ترد خليل ثابت لمكانه الصحفي ، وأن تأسو
بيد ما جرحته يد القرار الذي أصدره الوزير ، وتنتهي القصة آخر الامر
الى اخراج هذا الشخص الخطر البغيض الذي لم يصطنع الذوق في
استقبال وزارة الشئون الاجتماعية ، فتلقاها بنقد بعض أعمالها في
هذه الصراحة التي يعرفها الناس له ويعرفها هو لنفسه والتي تعودت
أن تؤذى الناس وأن تملأ صدورهم عليه حفيظة وموجدة . ومع ذلك فقد
كان هذا الشخص الخطر البغيض الذي يؤذى الناس ويؤذى نفسه
بصراحته المرة ، يستطيع أن يجرى الأمور بينه وبين الشئون الاجتماعية
على خير ما تجرى الأمور ، لولا أن فيه صلابة وعناداً وحجاً للحرية غير

سائع في مالوف الناس . لو أنه عرف كيف يستجيب للدعوة اللطيفة
الخطوة التي وجهها اليه السكرتير العام لوزارة الشؤون الاجتماعية في
مكتب وزير الأشغال حين أفهمه في صراحة صريحة أنه يريد كما يريد
الوزير لقاءه والتحدث اليه والاستماع به ، وحين استعان عليه بوزير
الأشغال ليستجيب لهذه الدعوة .

لو أنه فهم هذه الدعوة وعرف كيف يستجيب لها كما يستجيب لها
أصحاب اللباقة والمهارة والحق في التقرب من أصحاب السلطان ،
لرضيت عنه الوزارة وأقرته في لجنة التمثيل ، وحشرته في لجان أخرى
كثيرة من هذه اللجان التي تنشئها الوزارة في كل يوم . ولكن صاحبنا
تلقى هذه الدعوة في فتور ورد عليها في أدب فاتر ، ولم يمر على هذا
المكتب أو ذاك في وزارة الشؤون الاجتماعية لأنه لم يتعود أن يمر على
المكاتب إلا أن يكون له فيها أصدقاء يؤثرهم بالبر والود ، ولأنه لم يكن
مستعداً للعمل في اللجان التي تؤلف في كل يوم والتي تجتمع مصبحة
وتجتمع ممسية وتقول كلاماً كثيراً ولا تعمل شيئاً ذا خطر ، ولأنه قد
شارك في لجان كثيرة حتى سئم اللجان وأعمالها وآثر الخلوة إلى ما ينبغي
أن يشغله من القراءة والدرس والاملاء .

ولم يقف خطر هذا الشخص الخطر البغيض عند هذا الفتور
ولا عند هذا التقصير في ترك البطاقات ، بل قد اكتمى بهذا التقصير
وذلك الفتور لاحتمل على عيبه ولقب على ما فيه من جنوة وغلظة ،
ولكنه لم يكذب يستقر في القاهرة بعد عودته من أوروبا حتى أخذ يكتب
في « الثقافة » وإذا هو يمس وزارة الشؤون الاجتماعية من قريب مرة ،
ومن بعيد مرة أخرى ، وينقدها معرضاً حيناً ومصرحاً أخرى ، على
حين لا يكاد أحد يعرض لهذه الوزارة إلا بالحمد والثناء والتقريظ
والإطراء .

فحدثني كيف يباح لرجل أن يكون عضواً في لجنة خاضعة لسلطان
الوزارة ثم يعرض لهذه الوزارة بالنقد ؟ أي عقل يقبل هذا الكلام ، وأي
مزاج يسيغه ، وفي أي عرف يمكن أن يرضى الناس عنه ؟!

إن الذين يعملون في لجنة تخضع للوزارة يجب أن يخضعوا للوزارة
أو يخرجوا من اللجنة ، فإذا لم يخرجوا من تلقاء أنفسهم

أخرجوا منها أخراجاً . وكذلك يجب أن يكون مفهومها عند الذين يشتركون في لجنة من اللجان الخاضعة لوزارة الشؤون الاجتماعية أنهم بمجرد قبولهم لهذا الاشتراك ينزلون للوزارة عن حقهم في حرية الرأي وفي حرية النقد ، ويصبحون مخيرين بين اثنتين أحدهما : أن يطلقوا السفنتهم ويجروا أقلامهم بالحمد والثناء .

والأخرى وهي أسوأ الأمرين أن يضطروا أنفسهم إلى الصمت وأن يعقلوا الألسنة ويعقلوا الأقلام .

فأما أن خرجوا عن هاتين الخصلتين مهم لوزارة الشؤون الاجتماعية عدو ، وما ينبغي أن يكون التعاون بين الأعداء .

وقد صدق قول الشاعر القديم حين قال :-

فأما أن تكون أخى بحق فأعرف منك غشى من ثمينى
والا فاطرحنى واتخذنى عدواً اجتويك وتجتسوينى
فأنى لو تخالفنى شمالي خلافاً ما وصلت بها يمينى

نعم ولكن المهم هو أن نعرف معنى الاخاء الحق والعدو الحق ، والذى يفهمه أمثالى من أصحاب النفوس الساذجة والعقول التى لا تخلو من بله : أن الاخاء الحق قد يقتضى النقد ، والنقد المر الصريح ، وأن العداء الحق قد يقوم على الحمد والثناء ، وعلى التقريظ والاطراء ، وعلى المصانعة والموافقة ، وعلى اظهار ما ينبغي أن يخفى ، واخفاء ما ينبغي أن يظهر .

ولم يقف أمر هذا الشخص الخطر البغيض عند هذا الحد ، ولكنه فى بعض ما كتب نصح لوزارة الشؤون الاجتماعية أن تقرأ كتابا من الكتب الفرنسية ، وقد سمي هذا الكتاب باسمه ، وسمى مؤلفه باسمه ايضا ، ولكنه لم يسمح باعارة نسخته من هذا الكتاب لوزارة الشؤون الاجتماعية ، على أنها الحث عليه فى استعارة هذا الكتاب مرات ، ووسطت عنده وسطاء ، والظريف أن الكتاب لا يتجاوز ثمنه عشرين قرشاً ، ولطسه لا يبلغها ، فما رأيك فمين يعمل فى لجنة خاضعة لوزارة الشؤون الاجتماعية

وييخل عليها وعلى سكرتيرها باعارة كتاب ؟! هذا دليل واضح على سوء نيته وفساد طويته ، وعلى أنه لن يكون صادقا فيما سيبدل للوزاره من مشورة تتصل بشئون التمثيل ، فيجب أن يخرج من لجنة التمثيل طائعا ، فان لم يفعل أخرج منها كارها .

وليس المهم أن تقدر الوزارة أولا تقدر أن هذا الشخص الخطر البغيض حريص أو غير حريص على البقاء في لجنة التمثيل ، راغب في العمل مع وزارة الشؤون الاجتماعية أو راغب عن هذا العمل ، ولكن المهم أن نخرجه من هذه اللجنة وأن يقول الناس كان فلان عضواً في هذه اللجنة فأعيد تأليفها ليخرج منها أراجاً ، وليشعر الناس بأن من أحدث ذنوباً ، أحدثت في وزارة الشؤون الاجتماعية له عقوبة تلائم هذه الذنوب ، وليشعر الناس بأن نقداً وزارة الشؤون الاجتماعية له عقوبة تلائم هذه الذنوب ، وليشعر الناس أن نقداً وزارة الشؤون الاجتماعية ليس من الأشياء الهينة التي تستطيع أن تسمى رضية النفس رحية البال دون أن تلقى في طريقها ما يردّها الى القصد ويحملها على الاعتدال .

★ ★ ★

وكان طه حسين قبل أن يكتب مقاله ويضئ فيه لينشره في مجلة « الثقافة » على الراى العام ، قد كتب الى صديقه خليل مطران ليقول له « ألم أقل لك » ، ثم يبلغه بأمر استقالته من « لجنة القراءة » ليكون الأمر بيده هذه المرة لا بيد « عمرو » ، وطلب منه أن يبلغ الوزير ويبلغ « لجنة ترقية المسرح » بهذه الاستقالة .

ولما كانت الاذاعة قد صارت تبعيتها لوزارة الشؤون الاجتماعية ، وكان طه حسين عضواً بها في « لجنة الاذاعة » ، فقد سارع بتقديم استقالته منها أيضاً غير راغب في البقاء بأى لجنة من لجان وزارة الشؤون الاجتماعية ، فقد كتب طه حسين الى :

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة الاذاعة

اتشرف بأن ارفع اليكم استقالتي من عضوية لجنة الاذاعة شاكراً
لكم ولحضرات الزملاء ما تفضلتم به على اثناء العمل معكم من الرعاية
والمودة .

أما سبب استقالتي فيسير جداً فقد عرفت ان آرائى فى بعض اعمال
وزارة الشئون الاجتماعية لا تعجب حضرة صاحب المعالي الوزير ،
ونشأ عن ذلك انه اضطر الى تعديل لجنة المسرح ليخرجنى منها ،
وما اريد أن اضطره الى تعديل لجنة الاذاعة .

فارجو أن تفضلوا فتبلغوه هذه الاستقالة ليختار من ي خلفنى من
الذين تعجبه آراؤهم .

وتفضلوا بقبول تحيتى الخالصة وودى الصادق .

٧ نوفمبر ١٩٣٩

★ ★ ★

وبينما كان طه حسين يستقيل من كل اللجان المتصلة بوزارة
الشئون الاجتماعية قبل أن يخرجها وزيرها منها عقوبة وانتقاماً ، وبينما
كان يكتب تفاصيل الموقف كله لعرضه على الراى العام ، كان فى نفس
الوقت ينتظر موقف صديقه توفيق الحكيم مدير ادارة الدعاية بوزارة
الشئون الاجتماعية ، وما عسى ان يكون عليه موقفه تجاه صديقه الذى
عوقب وأهين بسبب آرائه .

لقد تعرض توفيق الحكيم لموقف مشابه قريب ، ولكن من وزارة
المعارف عندما عاقبته بسبب آرائه ايضا ، وانتهزت أول فرصة لابعاده
عنها فى غييبته ، مما أشعره بالاهانة الى درجة « الذل » كما احس
بذلك واعترف به ، ومما زاد من آلامه أنه تلفت يميناً وشمالاً فلم يجد
مدافعاً عنه ، فهل س يلتزم موقف الأدباء منه ، تجاه صديقه طه حسين ،
أم سيتخذ موقفاً آخر أكثر ايجابية خاصة وأن الذى تعرض للاهانة
هذه المرة هو طه حسين صديقه ؟

ولم يجد طه حسين صدى لما حدث له ، عند توفيق الحكيم .
وهنا لم يستطع طه حسين أن يلتزم الصمت ، فنشر على الرأى العام
فى مجلة « الثقافة » موقف صديقه توفيق الحكيم ، كما كشف النقاب
صراحة عن موقفه هو منه يوم تعرض لازمة مشابهة منذ حوالى سنة ،
مذكراً اياه بموقفه الايجابى منه ، بينما هو يتعرض الآن الموقف سلبى
منه فقال طه حسين :

وهنا احب ان اذكر صديقى مدير مصلحة الدعاية فى وزارة الشؤون
الاجتماعية بقصة لم يمض عليها العام ولم ينسها الناس ، وما كنت احب
ان اذكره بها ، وما كنت احب ان اعرض لها بخير او شر لولا اننا بلزاء
وزارة الشؤون الاجتماعية ، وهى وزارة اصلاح قبل كل شىء ، ووزارة
اصلاح يرتفع فوق مودة الاصدقاء وعداوة الاعداء . وزارة اصلاح
يقوم على المثل الأعلى فى القول والعمل ، وفى السر والجهر ، وفى السيرة
الشخصية والاجتماعية ، ورحم الله الشاعر القديم الذى قال :

يا ايها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابداً بنفسك فانها عن غيرها فاذا انتهت عنه فانت حكيم .

ورحم الله ابا العلاء حين قال :

اذا فعل الفتى ما عنه ينهى فمن جهتين لاجهة أساء
فلأذكر صديقى مدير مصلحة الدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية
بقصة ، بل بقصتين لم يمض عليهما العام ولم ينسها الناس بعد .

فاما القصة الاولى فأمر كاتب من الكتاب تعرض فى صحيفة من الصحف
لشئون السياسة ، ومس الوزارة التى كانت قائمة بما تكره ، مس
وزيره ، ومس رئيس الوزارة . اقال جماعة من الوزراء واقام مكانهم
وزراء آخريين ، ولم يكره أن يمس النظام البرلمانى بما لا يحب البرلمانىون ،
وقد غضب رئيس الوزراء يومئذ لان البرلمانيين احتجوا ، فأمر بهذا
الكاتب وكان موظفاً معوقب فى مرتبه بخضم جزء منه ، وأظن أن بين
الناس من ضاق بهذا الأمر اشد الضيق ، وسعى فى رفع هذه العقوبة
بنفسه عند الوزير الذى فرضها ، وعند وزير المالية يومئذ ، وعند

رئيس مجلس الشيوخ ، ووسط من يسمى في ذلك عند رئيس الوزراء لأنه لم يكن من الذين يبلغون رئيس الوزراء ، وهو لم يفعل (يقصد نفسه أى طه حسين) ذلك إثارة لشخص الكاتب ، وأن كان له صديقا ، وانما فعل ذلك حفاظاً لحرية الراى ودفاعاً عنها وغضباً لحرية النقد أن تتعرض للخطر فى ظل النظام الديمقراطى .

فهذه احدى القصتين . .

أما القصة الثانية ، فهى أن لهذا الكاتب نفسه كتابا ظريفاً أشاعت الصحف أن الأزهر الشريف اعترض على تقريره فى مدارس الدولة ، وغضب صاحب الكتاب لهذا الاعتراض ، ولم يتحقق صدق الخبر ، وانما تعجل فتحدث الى الصحف بما آذى الأزهر وآذى شيخه ، فغضبت الوزارة وهمت بمعاينة الكاتب مرة أخرى .



أما تفاصيل هذه الأزمة ، فتبدأ بخبر نشرته بعض الصحف المسائية عن تلقى وزارة المعارف لرسالة من مشيخة الأزهر التى كان على رأسها آنذاك « الشيخ مصطفى المراغى » بشأن حظر كتاب « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم ، لتعرضه فيه لهيئة القضاة الشرعيين .

وقد تلقت الخبر ، صحيفة « المقطم » وسالت توفيق الحكيم رايه فيه ، فاجاب بدون أن يتأكد من صدق الخبر ، باجابات أخذت منها الصحيفة المذكورة عناوين مثيرة على لسان توفيق الحكيم ، تقول :

« الأزهر والحياة العقلية فى مصر .. وجوب تدبر الخطر بتدخله المتكرر فى جميع شئون الدولة الفكرية » .

واتضح بعد ذلك أن مسألة حظر كتاب توفيق الحكيم ، وكتاب آخر تردد حظره « لبرناردشو » ، عن « جان دارك » ، فى الجامعة ، لم تبلغ رسيا لوزارة المعارف ، وقد أبلغ وزير المعارف نفسه د. محمد حسين

هيكل (الذى سبق أن وقع عليه عقوبة خصم خمسة عشر يوما من مرتبه بسبب مقاله عن النظام البرلمانى) توفيق الحكيم بهذا عندما استدعاه الى مكتبه ، وطلب منه الاعتذار عن تصريحاته ، فرفض على أساس ان مشيخة الازهر نفسها لم تتعرض بالتكذيب رسمياً للأخبار التى نشرتها الصحف منسوبة اليها ، وكاد الأمر يتطور حين تردد أن وزير المعارف سيعرض الموضوع على مجلس الوزراء ، وسيثار فى البرلمان خاصة بعد أن قام رئيس مجلس الشيوخ آنذاك (محمد محمود خليل صاحب المتحف الشهير باسمه الآن على نيل القاهرة) ، غير أن الموضوع ما لبث أن تمت تسويته وأصبح منتهياً .

★ ★ ★

وقد كان لطفه حسين دور فى هذه التسوية يتحدث عنه وهو يذكر الحكيم به ويعلن للرأى العام تفاصيل موقفه منه ، فيقول عن نفسه :

وكان بين الناس فى ذلك الوقت رجل لم تكن الحكومة التى كانت قائمة تحبه ، ولعلها كانت تبغضه ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يسعى عند الوزير الذى كان يخضع له هذا الكاتب ، بنفسه ، ومن يتوسل اليه برئيس مجلس الشيوخ لرده عما كان يهم به من البطش .

واذا لم تكذبنى الذاكرة فان هذا الرجل هو الذى املى كتابا يضع الامور فى نصابها . وعرضه على الوزير ، فلما قبله امضاه الكاتب وقدمه الى الوزير .

واذا لم تكذبنى الذاكرة فان هذا الرجل لم يفضب لذلك الكاتب لانه كان صديقا له بل غضب لحرية الرأى والنقد ، وأظنه تحدث الى بعض اصدقائه فى أن يقاوموا الوزير بانكار عمله ان اقدم على قرض العقاب ، ولم يخف تدبيره هذا على الوزير نفسه ، ولم يصل الأمر الى المقاومة لأن الوزير نفسه لم يكن عدواً لحرية الرأى وانما كان حريصا على النظام .

احب ان اذكر صديقى مدير الدعاية بمصلحة الشؤون الاجتماعية بهاتين القصتين لان الذكرى تنفع المؤمنين وتنفع الذين يريدون الاصلاح

الاجتماعى بنوع خاص ، وتحمل الناس على ان يفكروا فى أن للنقد حرية يجب ان تكون فوق العقاب ما دام اصحابها لا يتجاوزون بها حدود القانون ، وفى ان للثقافة على اهلها حقوقاً ايسرها التضامن والوفاء ، وفى ان من الآثام فى ذات الثقافة ان يظهر مثقف على مثقف ، او يعين اديب على اديب .



ويمضى ظنه حسين فى حديثه الملىء بالمرارة والذي يبدو أنه شعر بأنه قد طال أكثر مما يجب ، فيعتذر « من هذا الحديث الطويل السخيف الذى يتصل بشخص فى ظاهر الأمر ولكنه يتصل بحياتنا العقلية والاجتماعية فى حقيقة الأمر .

فخلاصة هذه القصة ان كاتباً أعرب عن رايه داعياً الى الإصلاح فإغضب وزارة الشؤون الاجتماعية فعاقبته باخراجه من لجنة التمثيل، ولو استطاعت ان تعاقبه بشر من ذلك لفعلت فيما يظهر . ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله — وشيء خير من لا شيء — . واضن انه من الخير ان يلتفت الناس الى أن هذه ظاهرة خطيرة لا ينبغي ان تقرر ولا ان تلتقى منهم رضى وتأييداً ، ولا سيما حين تظهر فى وزارة قد انشئت للإصلاح وللإصلاح وحده .

وانا واثق كل الثقة بأن الوزارة القائمة لا ترضى هذه الظاهرة ولا تقرها ، لأنى أعرف رئيس الوزراء ، وأعرف زملاءه ، وأعرف فيما بينى وبين نفسى ، وفيما بينى وبين كثير جداً من الناس انهم يرتفعون ويريدون ان ترتفع أمور الحكم عن مثل هذا .

واحب ان يعرف الناس انى لا أقول هذا ترضياً للسلطان ، فأنا اقل الناس تهالكا على رضى السلطان ، وقد جنيت لذلك ثماراً يراها الناس مرة واراها انا حلوة شهية .

وانما هو حق اراه ، ومن الواجب ان أسجله . واحب بعد هذا وذاك ان يعلم الناس انى لن اعود الى لجنة التمثيل مهما تكن الظروف

ما دامت تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية التى لا تعرف للنقد البرىء
حقه فى الحرية . وقد قال كثيرون من الذين يؤرخون للأدب ، أن الأديب
صورة للبيئة التى ينشأ فيها ، فإذا كان هذا الحديث سخيلاً تافهاً فليس
على من بأس ، فهو صورة لناحية من حياتنا لا تخلو من تهاة وسخف .

طسه حسين

...

★ ★ ★

فى مقال آخر بعد ذلك لم يتورع طسه حسين عن ذكر اسم صديقه
توفيق الحكيم صراحة حين طرح عدة تساؤلات انتقادية يقول فيها :

متى يرحمنا الله من الاعلان ؟

ومتى تقتصد وزارة الشؤون الاجتماعية من

الاعلان ؟

ومتى يكلف الأستاذ توفيق الحكيم شيئاً غير

ادارة اعلان « (*) ؟!

★ ★ ★

لقد كانت صداقة طسه حسين وتوفيق الحكيم ككل الصداقات
تتعرض لحالات من المد والجزر ، وإن كانت شخصية طسه حسين
الناقد ، غير شخصية طسه حسين الصديق ، وهذا يحسب له ، حتى
وإن « كانت صداقته متعبة وعداوته متعبة » ، كما قال أحمد أمين
(صديق الطرفين) لتوفيق الحكيم ، والذي كان يتمتع مثله بعلاقة
« صداقة أدبية وشخصية ومشاركة » كما يصفها توفيق الحكيم نفسه ،
ومع ذلك تعرضت صداقتهما بطسه حسين لما تتعرض له أى صداقة
« من لحظات صفاء ولحظات غيوم . ولعل هذا هو الشأن فى كل
صداقة » كما يقول توفيق الحكيم .

★ ★ ★

(★) بروباجندا - السابق .

غير ان المسألة هنا كانت أبعد ما تكون عن المواقف الشخصية ،
فالقضية عامة ، ومثلها تعرض الحكيم لازمة ولم يجد من يدافع عنه من
الأدباء — اذا استثنينا موقف طه حسين — فقد تعرض طه حسين
لازمة هو أيضا ، وما عابه الحكيم على الأدباء وقع هو نفسه فيه فالتزم
الصمت ولم يتخذ موقفاً ، مما جعل طه حسين يغضب منه غضباً سيظل
ظاهراً في مواقف متعددة بعد ذلك ، بداها حين اتهم توفيق الحكيم على
صفحات الأهرام (١٠ يوليو ١٩٤٠) بأنه من « عشاق الدعاية وطلاب
الأدب اليسير » .

★ ★ ★

غير أن طه حسين نفسه يتعرض لمحنة شديدة سنة ١٩٤٦
شبيهة بمحنته التي فصل على اثرها من الجامعة سنة ١٩٣٢ بسبب
اصطدامه مع وزارة صدقي الديكتاتورية ، أما هذه المرة فقد كان تعريضه
بالمك بالرمز والتلميح كافياً لكى يضيق عليه الخناق فيحال على المعاش
من منصبه كمستشار فنى لوزارة المعارف ، ثم يجبر على الاستقالة
كمدير لجامعة الاسكندرية ، ثم أغلقت مجلة « الكاتب المصرى » آخر
معاقله ، ليجد نفسه بلا مأوى ، فقتلقه جامعات أوربا تدعوه للتدريس
فيها طوال العام ، مما يقوى عزمه على الهجرة عله يجد في الخارج
« ما ينسيه طعم المرارة التي ذاتها من اهمال قومه هنا وذويه » كما
يقول توفيق الحكيم في مقاله بأخبار اليوم في ١٠/١٠/١٩٤٨ تحت عنوان
« الأديب المنفى » (*) مؤكداً ان « الخاسر فى ذلك بلاده » مستنهداً
الأصدقاء من رجال الجامعة والأدب ، والسياسة ، والرسميين ، متسائلاً
« ماذا تراهم فاعلين ليشعروه ان وطنه محتاج اليه ، وأنه لا يطيق غيبته
الطويلة ولا نفيه المختار » .

ولعل الحكيم اراد بهذا المقال ان ينسى طه حسين مرارة صيته
عنه ابان أزمته السابقة مع وزارة الشئون الاجتماعية . ولم يكن طه
حسين من النوع الذى يطبق ان يهجر بلاده حتى لو هجرته بلاده فعاد
ليواصل كفاحه الأدبى والسياسى .

★ ★ ★

(*) المقال كاملاً فى ملحق « الوثائق » .

مهما يكن فان محنة توفيق الحكيم ، وازمة طه حسين ثم محنته بعد ذلك ستعطينا مؤشراً واضحاً على ضعف موقف المثقفين ، ليس فقط في الماضي بل في الحاضر ايضاً ، او كما يقول أحمد بهاء الدين (*) :

نحن الآن جزء من عالم متخلف ، الامية عندنا تزيد على خمسين في المائة ، هل يعتقد احد ان المثقف حين يحس انه في العراق ، بدون حماية مدنية ، هو المثقف الذي يحس انه في منطقة المجتمع المدني بكل ما فيه من مؤسسات وراى عام .. الى غير ذلك .

ان الكاتب عندنا لا يجد من يحميه ، فان هناك درجة من المخاطرة (.....) من المؤكد ان مؤسساتنا حتى الآن ضعيفة ، اقصد هذه المؤسسات التى تكون الراى العام وتصنعه وتحاول الدفاع عنه مثل الجامعات والمجالس النيابية ، والقضاء ، والمؤسسات الصحفية .. الى غير ذلك . وهنا لاحظ (والكلام لأحمد بهاء الدين) ان موقف المثقفين — كما يلاحظ الباحث — ضعيف .

★ ★ ★

ومظاهر هذا الضعف لا تزال قائمة حتى الآن بدليل هذا الموقف الذى وقفه استاذ للفلسفة بالجامعة امام محكمة الجنايات بسبب آراء نشرت عنه محرقة عن « ابن رشد » ، وهى المرة الاولى التى يقف فيها استاذ للفلسفة امام المحكمة (١٥ مايو ١٩٩٥) منذ محاكمة « ابن رشد » فى القرن الثانى عشر الميلادى بسبب فلسفته العقلية التى تقدم بها الغرب حين انتفع بها ، وتخلفنا نحن عن حين عرضنا عنها .

يقول استاذ الفلسفة وخبرها بجميع اللغة العربية د. عاطف العراقي بعد ان برأته المحكمة ، متسائلاً (**):

(*) فى تقديمه لكتاب « المثقفون وعبد الناصر » للدكتور مصطفى عبد الفنى .
(**) نقلاً عن نص مخطوط له نشره المؤلف بمجلة الاذاعة والتليفزيون تحت عنوان « يوم من عمرى » .

اين هؤلاء الذين يتحدثون عن التنوير ، وحديثهم هذا يعد كلاما في كلام ؟

اين اختفى هؤلاء يوم ان وقتت امام المحكمة ؟

انهم فيما اعتقد من اشباه المفكرين ومن الرجال السطحيين الذين يقفون عند القشور لأن انهم لم يتجاوزوا المتخلفة ليس بإمكانها تجاوز القشور وبحيث يصلون الى الأعماق .

لم يتحرك واحد منهم سواء قبل صدور حكم لى بالبراءة ، أو بعد صدوره .

ان هذا يؤكد لنا اننا في مجال الفكر نعمل وكأننا في مجتمع الصراصير وليس في مجتمع النمل . كل صرصور يتقاتل مع الآخر ، في حين اننا نجد الالفه والتعاون في مجتمع النمل . دخلت الى صومعتى الفكرية وانا أقول :

لعنة الله على هؤلاء الذين يزعمون للناس انهم من الذين يتحدثون عن التنوير ، في الوقت الذي تعد حياتهم التي يحيونها ، ظلاما في ظلام . تعد حياتهم مبتعدة تماما عن الدفاع عن التنوير ، وداخلة في بحر الظلمات والجهل والتخلف . اناس تحسبهم من المثقفين ، وهم ليسوا بمثقفين ، بل اشباه مثقفين ، ومن هنا كانت أزمة الثقافة بمصر سببها هؤلاء الناس الذين يزعمون لانفسهم انهم من المثقفين في الوقت الذي نجد فيه الفرقا بينهم وبين الثقافة الجادة ، اكبر من المسافة بين الانس والجن ، وان كان اكثرهم لا يعلمون » .

★ ★ ★

هل استطعنا اذن ان نفسر بعض مواقف طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وغيرهما بضعف المثقفين في عصرهما وغير عصرهما ؟

(٣)

رغم كل شيء فقد كان طه حسين على استعداد لأن يعفو ، وكان
توفيق الحكيم على استعداد هو الآخر إلا يخسر هذه الصداقة الأدبية
والشخصية مع طه حسين ، فعادت مياه علاقتها إلى طبيعتها
مستأنفين الرسائل والحوار فيها بينهما ، فبعث توفيق الحكيم من
القاهرة خطابا إلى طه حسين وهو في المصيف يقول له فيه :

القاهرة في ٣ يوليو ١٩٤٩

٣٣ شارع القصر العالى — قصر الدوبارة .

أخى الجليل

أبعث اليكم من مصر بأطيب التحيات وأسأل الله أن تكونوا في المصيف
على خير حال .

أما بعد فقد حجز لى مكان على الباخرة « الملك نؤاد » التى تغادر
الاسكندرية في ٢٤ يوليو ان شاء الله .. وقد رايت من الواجب قبل أن
أضع أو يوضع لى برنامج الرحلة أن استطلع رأيكم فيما كنا بصدد من
نية الاجتماع فى المصيف أيا ما .. فإذا لم يكن طرا على برنامجكم تغيير
ورأيتم أن أحضر اليكم فى الجبل من مارسيليا مباشرة ، فانى أبدأ رحلتى
بهذا .. وإذا لمكم من مصر شيء أحضره معى فما عليكم الا أن تأمروا .

وفى الختام أرجو أن تتكرموا بإبلاغ تحياتى واحتراماتى مدام طه
بك والنجل العزيز كلود (مؤنس) .. مع سلامى لفريد (سكرتيره) ..
ودمت فى أوفر عافية وأتم نشاط واكمل هناء .

المخلص

توفيق الحكيم



ورد عليه طه حسين فى ١١ يوليو ١٩٤٩ من باريس (فيما نشره
توفيق الحكيم فى « وثائق من كواليس الأدباء ») ليخبره أنه لم يتحدد
بعد المكان الذى سيصطافون فيه وسيقوم بتحديدده بعد وصول توفيق
الحكيم الى باريس ، ويضيف « وانى أشكر لك أجمل الشكر استعدادك
ما قد أحتاج اليه من مصر ، ولن أحتاج الا لشيء من السجائر وأنت رجل
لا تدخن .. ولك مع ذلك الحق بمقتضى القانون الفرنسى أن تدخل فى
فرنسا بمقدار لا بأس به من السجائر لا يقل عن الألف » .

وبوضح له أهمية هذه السجائر بالنسبة له فيقول له مداعباً « فانت
تعلم أن السجارة تلهمنى كما يلهمك الجلوس فى القهوة » .



وسافر توفيق الحكيم الى باريس فوجد طه حسين قد تركها الى
مضيف اختاره بقرب « مارسيليا » ، وشرح له (فى رسالة) كيفية
الوصول اليه ، ولكن توفيق الحكيم الذى لم يسافر الى باريس من مدة
طويلة منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية وجد نفسه مشدوداً الى العاصمة
الفرنسية ، منصرفاً عن المضيف ، وبالتالي لم يذهب الى طه حسين ،
وقد ساق اليه أسباباً مضحكة واهية لكى يبرر له عدم اللحاق به .

يقول توفيق الحكيم :

باريس فى ٣ سبتمبر ١٩٤٩

صديقى العزيز

تلقيت كتابك الكريم ، وما أن عرفت أن على الهبوط من شمال
فرنسا الى جنوبها ، ثم الصعود من الأرض الى القمم ، على ارتفاع
أربع عشرة مئة من الأمتار ، وأن أركب القطار ثم أنتقل منه الى « الكار »
حتى أخذنى الدوار ! .. فان أقصى جهودي أن أهبط من الفندق الى
القهوة ، وأصعد من القهوة الى الفندق .. فاذا غامرت يوماً وذهبت
الى حى متطرف من أحياء باريس ، فأنى أقول : اللهم رد غربتى ! ..
وأعود حالاً الى مقرى وأنا اتنفس الصعداء ..

ثم كيف أترك باريس الآن ، وقد بدأت المسارح تفتح أبوابها باباً
بعد باب .. واخذ « المحار » البرتغالى ، و « المول » البحرى تظهر
بشائره فى مطعم « ملك الأصداف » فى ميدان « كليشى » ! .. وأنا من
هواة « المحار » .. لا أتعب من ملاحظة بائعة وهو يفتحه بسكينه ،
ويرصه فى أطباق ، يحملها خدم المطاعم .. فتسافر أنظاري خلف الأطباق
على حد تعبير بديع الزمان ..

لا .. ليس من السهل أن أترك باريس الآن .. وخصوصاً وأن
مقامى فيها لن يجاوز اليوم العشرين من هذا الشهر .. فأمامى اذن
أقل من أسبوعين ، أعد فيها عدتى للرجوع الى مصر .. فاذا أردتم
من مصر شيئاً فأنى رهن الاشارة ..

وختاماً أرجولكم وللهدام ومؤنس وفريد ، مقاماً طيباً وعوداً
حميداً .. وأن أراكم فى مصر هذا الخريف على احسن صحة
وأتم هناء باذن الله .

والسلام

توفيق الحكيم

حاشية : السجابر التى عندى .. كيف أوصلها اليكم ؟ وكذلك لكم فى
ذمتى هدية : هى زجاجة « أولدبار » جئت بها لكم من مصر ونسيت
أخبركم بأمرها .. أظن الأوفى أن أجعل هذه الأشياء فى حزمة
وأن أودعها أمانة لكم عند بواب « لوتيسيا » (*) ..
هل من رأيكم ذلك ؟!

(*) اسم الفندق الذى ينزل به طه حسين .

وهكذا لم يتم اللقاء بين الصديقين في المصيف مرة أخرى كما اتفقا لانجاز عمل مسرحي مشترك كان من المفترض انجازه منذ اجتماعهما في المصيف لأول مرة سنة ١٩٣٦ ، وهو حلم كان يراود « خليل مطران » أول مدير للفرقة القومية المصرية المسرحية .

وقبل أن يغادر توفيق الحكيم باريس تلقى رسالة من طه حسين تتضمن مقالا فيها يبدو أنه تردد في نشره ، وربما كانت هذه هي المرة الأولى التي نكتشف فيها أن طه حسين يعرض مقالاته على أحد من الكتاب أو الأدباء قبل نشرها ، فما بالك بتوفيق الحكيم الذي كان قد غضب منه غضبا شديداً إبان أزمته مع وزارة الشؤون الاجتماعية ، واشتكاها للقراء لأنه لم يقف معه كما وقف هو نفسه معه إبان أزمته مع وزارة المعارف ، وأزمته مع الأزهر وشيخه؟! غير أن إرسال طه حسين لمقال له الى توفيق الحكيم ليدلى له فيه برأيه قبل نشره ، يدلنا على أن طه حسين قد تجارز الأزمة مع صاحبه بشكل عملي وإن لم يتجاوزها بشكل نفسي أو شخصي كما سيتبين لنا فيما بعد حين يدلى لخاصته بآراء حادة في توفيق الحكيم كنوع من التنفيس عن خيبة أمله في صديقه الذي لم يكن يتوقع منه أن يتخلى عنه في محنته مع وزارة الشؤون الاجتماعية التي أرادت معاقبته بسبب آرائه فيها وفي دورها كوزارة للدعاية والاعلان أكثر منها وزارة اصلاح ، حتى لو كان مدير الدعاية والاعلان فيها هو توفيق الحكيم نفسه ، فالحق أولى بالاتباع ومناصرة اهل الفكر والأدب من المفترض أن تكون أسبق لأصحابها من مناصبهم ، وأحرص على نجدة الصديق في محنته من الحرص على الوضع المهني في وظيفة هنا أو هناك ، لأن قيمة المفكر والأديب أبقي وأرفع من المنصب الذي يشرف المنصب نفسه به ، دون أن يكون للمفكر والأديب مثل هذا الشرف بالنسبة لمنصبه ، ولكن يبدو أن الفكر والأدب لا يقيمان الأود ولا يضمنان لأصحابهما حياة كريمة ، فلا بد من الوظيفة ولا بد من الحرص على الوظيفة حفظاً للكرامة والستر .

ونحن هنا لا نسوق القضية وعكسها ، ولا نطرح فكرة ومبررات التخلي عنها ، ولكنه واقع الحال الذي دفع من أجله طه حسين نفسه الكثير إبان أزمته في الجامعة وطردها منها وتضييق أسباب الرزق عليه

الى درجة أنه لم يكن يجد ثمن الدواء ، مما دفع به الى التفكير في الانتحار لولا ان فتحت الصحف ابوابها امامه مما حافظ على كرامته وحفظ له قدراً من الستر لنفسه واسرته حتى لا يمد يده او يتنازل عن افكار آمن بها ، ومبادئ لا يفرط فيها .

انه الضعف الانساني الذي يجعل الانسان يحرص على مصدر لقمة عيشه ، أكثر من حرصه على نصره صديق في محنته حين يجد أن تلك النصره قد تؤثر على مصدر هذا الرزق أو تقطعه ، حتى لو كان هذا الانسان أدبياً مفكراً ، ولعل هذا البعد الانساني هو الذي جعل طه حسين بعد حوالي عشر سنوات من موقف صديقه معه ، ينسى له هذا الموقف السلبي أو يتناساه ، أو يتظاهر بذلك على الأقل ، وان كانت مواقف طه حسين مع توفيق الحكيم قد دلت على روح عالية لمثقف كبير ، ويكفينا هذا الموقف الأخير ، فلم نجد طه حسين من قبل أو من بعد قد سمح لنفسه ان يعرض مقالاً كتبه على أحد خاصة اذا كان من الأدباء لابداء رايه فيه ، كما فعل مع توفيق الحكيم .

ولو اقترينا أكثر من معرفة طبيعة المقال الذي تردد طه حسين في نشره ، فعرضه على صديقه ليقطع له فيه برأى ، لاكتشفنا أن طه حسين كان حريصاً على عدم الاساءة الى الأشخاص لانه وان كان قد هاجم بعضهم فليس ذلك لخصومة شخصية ، وانما لخصومة أدبية أو انتقاداً لمواقف لم تعجبه ووجد من اصحابها نكوصاً عن مبدأ أو اهدار لقيمة نبيلة ، وهو ما فعله مع توفيق الحكيم الذي افترض أنه كمثقف سيقف بجوار زميله المثقف ، فضلاً عن أنه صديق شخصي له ، وهو ما لم يجده مما أحزنه ، وهو موقف لم ينسبه كعادته ، وان لم يتوقف امامه كثيراً ليجعله مقياساً لمستقبل تعامله مع صديقه ، فقد تعامل مع موقف توفيق الحكيم في اطار زمانه ومكانه ، ثم نسيه موضوعياً أو على الأقل لم يشعر صديقه به كذنب يذكره له ويطارده به ، ولكنه عامله معاملة صديق قديم ، له مثل ما « لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة » ، بل قد أحسن معاملته كما لم يحسنها من قبل حين استشاره في امكانية نشر مقال تعرض فيه لبعض الأشخاص الذين ستر

اسماءهم ، وهى طريقة كان يلجأ اليها طه حسين حين كان يريد الكتابة عن اشخاص بعينهم فيشير اليهم دون ان يسميهم ، او يجعلهم فى صورة حيوانات او طيور ، كل حسب طبيعته وصفاته التى تقترب من طبيعة او صفات هذا الحيوان او ذلك الطير .

ويجيبه توفيق الحكيم ب خطاب يريحه ويخفف من حساسيته الزائدة ، كما سنكتشف ايضا فى هذا الخطاب ان توفيق الحكيم الخائف دائما من ركوب الطائرات قد ابدى عزمه على ركوبها على طريقة « مجبر أخاك لا بطل » ، والسبب الذى اجبره على ذلك هو حرصه على حضور لحظة ميلاد طفل له أخبر انه على وشك الخروج الى الحياة ، والطفل لم يكن يهتم توفيق الحكيم فى كثير او قليل لانه لم يكن راغبا بعد زواجه من مطلقة لها طفلتان ، ان يكون له ابناء ، معتبرا بروح الفنان ان هاتان الطفلتان كابنتاه ، فما الداعى لأطفال جدد ، خاصة وانه اشترط على زوجته الا تنجب اولادا فقد كان يحس كنفان ان لديه مهام اخرى غير تربيته الاطفال ، وساعده على تحقيق هذا المطلب ان زوجته كانت مصابة باعوجاج فى الرحم ، ولذلك كان مطمئنا الى عدم حملها ، ولكن بعد شهور قليلة ظهرت على زوجته اعراض الحمل والوحم ، وقال لها الطبيب ان الرحم قد عاد الى وضعه الطبيعى ، وحدث الحمل :

ورغم ضيق توفيق الحكيم الا انه خجل ان يصدم زوجته ويمس احساسها اذا طلب منها ان تسقط الحمل ، ورزقه الله باسماعيل فجز ٢٤ مارس ١٩٤٧ (*) .

ولكن الامر لم يتوقف عند « اسماعيل » ، فقد حملت زوجة توفيق الحكيم مرة اخرى ، وكان الحكيم مصمما هذه المرة على اجهاضها ، ولكنه تراجع بعد ان تأمل وفكر ان وقوعه ضد ارادة الله لن يعود عليه الا بالخسران ، أخذاً عبرة وعظة حين اطمأن الى اعوجاج رحم زوجته فلماذا

(*) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب المؤلف « رسائل خاصة جدا » - كتاب اليوم - مؤسسة اخبار اليوم .

به ، بقدره الله يعتدل . فليس الأمر بارادتنا ولكنه بارادة الله (*) ، وجاءت
(ابنته) التى كانت خير عون له فى السنوات الأخيرة من حياته حيث كان
أحوج ما يكون الى ذلك العون خاصة بعد رحيل ابنه (اسماعيل) ،
وهو ما يكشف عن الحكمة البالغة لانجاب ابنته التى لم يكن
راضياً عن انجابها ، فإذا هى التى تبقى له أنيساً وونيساً فى شيخوخته
بعد أن فقد الزوجة والولد ، وكان المولود المنتظر الذى تحدث عنه توفيق
الحكيم لطفه حسين فى رسالته ، هو « زينب » ، هذا الطفل الذى أبدى
ضرورة عودته من أجله ، ليس الطفل فى حد ذاته ولكنها نظرة الفنان
الذى يريد أن يتأمل جمال ما أبدع الفنان الأعظم والمبدع الأعظم الذى هو
« الله » ، والذى يتضائل أمامه كل من وكل أبداع بشرى ، وهو ما عبر
عنه توفيق الحكيم فى رسالته التى يقول فيها لطفه حسين :

باريس فى ١٤ سبتمبر. ١٩٤٩

صديقى العزيز

قرأت المقال الطريف ، بلذة وسرور ، ولا أرى فى نشره
بأساً .. فالأسماء مستورة .. وليس من السهل تمييز أصحابها ، ونصف
أهل بلدنا والله الحمد يخافون من ظلمهم .. وأنا أعرف فى مصر كثيرين ،
يتجشمون تسلق الدرج المرتفع ، حتى تنقطع أنفاسهم ، ولا يأمنون
استخدام المصعد .. لأنهم يعتقدون أنه سينفلت من حباله ويسقط بهم
فى الأعماق .. أما أنا فأقسم أنى ما خفت المصعد قط يوماً .. لأنى أسكن
فى أغلب أحيان فى الطابق الأول ..

حضورى اليكم فى ساحل البحر ليس من الميسور ، لأنى فيما يبدو
أركب السفينة من « مارسيليا » .. ولكنى قد أركب الطائرة من
باريس ! .. نعم الطائرة ! .. وهنا موضع الدهشة ! .. أهى شجاعة
مفاجئة ..

لا أظن ذلك .. أننا هى الضرورة .. ضرورة عودتى الى مصر قبيل
افتتاح معرض باريس ، لأن معرضاً آخر سفتتح فى بيتى .. سترفع

(*) لمزيد من التفاصيل ارجع الى كتاب (الملف الشخصى لتوفيق الحكيم) للمؤلف -
دار المعارف .

فيه الطبيعة ستار الوجود عن مولود .. ان هذه اللحظة الاولى والصيحة
الاولى لنور الحياة فيهما من الروعة ما ينسينا احيانا كل جمال الفن
البشرى .. فلك اننا هنا لمام من الله ! ..

جعلت السجائر وخلاتها في حزمة وتركتهما في عهدة بسواب
« اللوتسيا » ... واتمنى لكم جميعا اقامة طيبة في فرنسا ، وعودة سالمة
غانمة الى مصر .. وأرجو ان تكتبوا الى دائما بما يلزمكم ، وأسأل الله ان
يجمعنا في بلادنا على خير حال ، وان يوفقنا هناك الى انجاز العمل
الأدبي الذي تعاهدنا عليه ..

واحتراماتي للمدام وتحياتي للجميع مع أخلص تمنياتي ؟

توفيق الحكيم



سجین الوزارة وسجون دار الكتب

« قلے لصاحبك انك موظف
حکومت ولا يجوز لك ان
تقذف في حق رئيس الحكومة
لانني لست جباراً . »

الخاص بامنا

حين صار طه حسين وزيراً في حكومة « الوفد » سنة ١٩٥٠ لم ينس صديقه توفيق الحكيم في أول فرصة أتاحت له ليضعه في منصب كبير يليق به .

فقد تحدث طه حسين الى ابراهيم فرج الوزير في نفس الوزارة ، وصديق الاثنين ، في أمر ترشيح توفيق الحكيم في وظيفة « مدير دار الكتب » الشاغرة ، فزكى ابراهيم فرج هذا الترشيح ، وجعلته علاقته الوثيقة بمصطفى النحاس رئيس الوزراء ، يفاخه في هذا الموضوع ، فقال النحاس مازحاً :

كده .. توفيق الحكيم الذى شتينا نعيه ونكافئه بالمنصب !

فقال له ابراهيم فرج : انه فخر لك ان تعين من شتمك ، مديراً لدار الكتب ، واى مدير هو .. انه اكبر مستوى فكرى يتولاها بعد لطفى السيد . ضحك النحاس وقال : انه فعلا يستحق المنصب (*) !

★ ★ ★

ولما كان مصطفى النحاس يطلق عليه لقب « الزعيم الجليل » فقد كتب عنه توفيق الحكيم في « شجرة الحكم » واطلق عليه لقب « الزعيم الجميل » ، وادار معه حواراً مسرحياً بينه وبين صاحب صاحب المعالي « مكرم عبيد » ، على أساس أن يترك النحاس الحكم ليكون « زعيم الأمة » ، ولكن صاحب المعالي نصحه بعدم تصديق هذا الكلام لان الزعيم الذى يترك الحكم في بلادنا يصبح وضعه أشبه « بالقفاز » الجامد الذى انسحبت منه الأصابع ، والأصابع هى الحكم والسلطة ، اما القفاز فهو المبادئ وبرامج الحكم .

ولم يغضب مصطفى النحاس وانما تأثر بعض الشيء من استخدام تعبير « الزعيم الجميل » .

وقال « لابراهيم فرج » (وهو زميل قديم لتوفيق الحكيم منذ مدرسة الحقوق) : قل لصاحبك انك موظف حكومة ولا يحق لك أن تقذف في حق رئيس الحكومة لأننى لست جميلاً .

(★) من حديث ابراهيم فرج سكرتير حزب الوفد للمؤلف فى ٢٦/١/١٩٨٨ .

غير أن النحاس باشا قد تضايق فعلا عندما كتب توفيق الحكيم في « الأهرام » عن « الخواتم المزيفة » مشيراً فيها إلى أن الأحزاب القائمة في البلد كلها مزيفة .

وكان ذلك على اثر فوز مصطفى النحاس في الانتخابات بالأغلبية ، وتكليفه برئاسة الوزراء ، وصرح النحاس باشا وهو يرأس الجلسة الأولى لمجلس الوزراء : يقول عنا اننا مزيفون مع اننا نزن بثقة الامة .. فكيف يقول الحكيم هذا ويساوينا بحزب الاقلية الفاشل ؟!

★ ★ ★

وكان « انطون الجميل » رئيس تحرير « الأهرام » آنذاك ، شخصية ماهرة كما يصفه توفيق الحكيم نفسه ، فنشر المقال في مكان بارز لفت اليه الأنظار وأهاج النحاس الذي راح يصيح في مجلس الوزراء :

يقول اننا مزيفون ؟ نحن مزيفون ؟ فليقل ذلك عن الحزبين الساقطين الآخرين .. أما « الوفد » الذي خرج من الانتخابات فائزاً هذا الفوز الساحق .. كيف يقول عنه انه مزيف ؟ ومن الذى يقول ذلك ؟ موظف رسمى هو مدير الارشاد والدعاية للحكومة !! .

ونفض أحد الوزراء يسأل :

كيف مر هذا المقال ؟

ومن هو مدير المطبوعات المسئول عن مراقبة النشر . (كان الوقت زمن الحرب العالمية الثانية) .

وكان المسئول عن المطبوعات آنذاك هو الأديب « محمد فريد أبو حديد » فسألوه ، فأجاب : أن المقال عمل أدبى .

فسخروا منه ، وقالوا عنه انه هو أيضاً أديب ولا ينهم في السياسة ، ونقلوه من منصبه كمدير للمطبوعات ، وكان توفيق الحكيم أيضاً مهدداً

بالنقل من منصبه « كمدير للإرشاد والدعاية » بوزارة الشؤون الاجتماعية، وقد جرى كلام في إحدى جلسات مجلس الوزراء حول هذا المدير الذي من واجبه الإشادة بالحكومة فإذا به يقول عنها إنها مزيفة ، وأخذ أعضاء الحكومة في هذه الجلسة ينداولون في الوظيفة التي ينقل إليها توفيق الحكيم ، واشترط النحاس باشا بطبيعته المعروفة عدم المساس بالمرتب والدرجة ، وجعل كل وزير يفكر ، وأخيراً تكلم أحد الوزراء ، وكان مشهوراً بأنه « ابن نكتة » ، وهو نجيب الهلالي باشا ، مصرحاً بأنه وجد الوظيفة المناسبة :

فصاحوا كلهم : وما هي ؟

فأجابهم : وظيفة فيها كل الشروط : نفس المرتب ونفس الدرجة ، ومناسبة له هو بالذات تماماً .

فلما سألوه عنها أجاب بكل جدية : وظيفة باشسكتاب مستشفى المجانين ! .

واعتبروها نكتة ، وانتهت مناقشة موضوع نقل توفيق الحكيم عقاباً له على طول لسانه على الوفد وحكومته ورئيس وزرائه ، عند هذا الحد، حتى صارت وظيفة مدير دار الكتب شاغرة ، فرشح وزير المعارف د. طه حسين ، توفيق الحكيم ليشغلها ، وعرض الأمر في اجتماع لمجلس الوزراء ، فوجم أكثر الوزراء ، وهم يظنون أن النحاس باشا ، سوف يثور على وزير المعارف الذي يرشح له كاتباً سبق أن هاجمه أكثر مرة ليرقيه من موظف درجة ثالثة إلى مدير عام بدرجة وكيل وزارة ، فإذا بالوزراء الواجمون تزداد دهشتهم وهم يرون رئيس الوزراء يوافق بكل سرور على « توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب » ، وهو يقول :

ان هذا تشريف للجابحة (إشارة إلى مثلها طه حسين صاحب القرشيح) وليس تشريفاً لتوفيق الحكيم .



صار طه حسين وزيراً للمعارف ، ونال الباشوية واصبح
« طه حسين باشا » ، وصار «توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب » .

وفي صيف ١٩٥١ اعد طه حسين عدته كعادته لقضاء الصيف ،
واسرته في مصيف من المصايف ، وقد ذهب توفيق الحكيم لتوديعه في
السفينة قبيل ابحارها ، وحاول طه حسين اقناعه بالسفر معه الى
المصيف ، ولكن ظروف توفيق الحكيم لم تكن تسمح له بمغادرة مصر رغم
قيظها الشديد ، وافترقا الصديقان ، ولم تنقطع خطابات كل منهما عن
الآخر .

ولما كانت كتب توفيق الحكيم تترجم الى اللغات الأجنبية ومنها اللغة
الفرنسية ، فقد كان من الطبيعي اذا سافر طه حسين الى فرنسا أن
يتابع له ما يتعلق بهذا الأمر ، ولما كانت « يوميات نائب في الأرياف »
أحد هذه الكتب المترجمة والمنشورة بالفرنسية في أكثر من طبعة ،
وما يترتب على ذلك من حقوق مادية للمؤلف حين ينشر ابداعه على أى
نحو من الأتحاء ، فقد احتفظ طه حسين لصديقه بهذه المستحقات التي
فيما يبدو أن الناشر قد أودعها لديه لمعرفته بالصلات الوثيقة بين
الصديقين الكبيرين ، ولم يكد توفيق الحكيم يعلم بأمر هذه المستحقات
حتى أرسل لطه حسين خطاباً عاجلاً بالفرنسية يطلب منه الإسراع
بها اليه ، ويوضح له السبيل الى ذلك ، فيقول في :

١٩٥١/٦/٢٦

القاهرة

٣٣ شارع القصر العيني

جاردن سيتى

سيدى

علمت عن طريق السيد / اتياميسل ان لى طرفكم رشيد بخمس
وعشرين ألف فرنك فرنسى حق نشر أجزاء من كتابى « يوميات نائب في
الأرياف » .

ولتسهيل السداد ، اقترح أن تدفعوا هذا المبلغ الى الأستاذ /
فريد شحاته .

وانى لأشكركم بشدة .

وتفضلوا بقبول خالص التحية ،

توفيق الحكيم



ولما كان طه حسين لا يستقر أحياناً في مصيف واحد ، فانه في هذه
السنة (١٩٥١) قد انتقل من باريس الى ايطاليا ، ومن هناك كتب رسالة
الى توفيق الحكيم (نشرها الأخير) ولكننا سنشير الى بعض مقتطفات
منها لنربط بينها وبين رد توفيق الحكيم على طه حسين .

يقول طه حسين في رسالته المؤرخة في ٢٨ يوليو ١٩٥١ ما يفيد
شوقه اليه « فقد مضت أيام كثيرة طويلة منذ افترقنا ولكننا نذكرك فنتيل
ذكرك ، واذكرك حين اخلو الى نفسى فاطيل ذكرك أيضاً . فانت بعيد
قريب » .

ثم يذكره بأيامهما في المصيف على جبال فرنسا وما أسفر عنه ذلك
اللقاء من كتاب « القصر المسحور » ويحدثه عن المكان الذى يصطاف فيه ،
ويغريه بوجود مكان جيد صالح ليمارس فيه هوايته في الصيد ، مع وجود
تهوة تصلح ليمارس فيها كتابته ، يغريه بذلك ثم يرثى لحاله كسجين
في « دار الكتب » « ولا يعنيك من قيظ الصيف الا هذا الهواء المصطنع
الذى يصنعه الانسان بقدرته الضيقة ولا تصنعه الطبيعة بقدرتها التى
اطلقها الله اطلاقاً » .

ثم لا يعنى طه حسين نفسه من الرثاء ، فالحرية التى يتمتع بها
محدودة لها أول ، ولها انتهاء ليعود بعد ذلك « سجين الوزارة أو سجين
الدار » .

ثم يصف طه حسين لصديقه كيف يقضى صيفه في القرارة هذا العام ، ومما يقرؤه بعض الكتب عن الأندلس وأدبائها ، ويعترف في تواضع العلماء العظام بأن « علمى بالأدب العربى الأندلسى ضئيل متواضع » .

فلم يكن طه حسين على اتساع ثقافته يرى انه كمبيد للأدب العربى قد احاط بكل الأدب العربى فى مختلف بيئاته وأوطانه .

ثم يسأل طه ، الحكيم : عن حاله وحال الأدب معه ، وكيف احتل القبط ، ثم يطلب منه أن يكتب اليه متمنياً له « خير ما أحب لك من صحة وعافية وراحة نفس وفراغ بال ورضى ضمير » .

وكان تعليق توفيق الحكيم على هذه الرسالة التى أرسلها اليه صديقه كوزير مسئول يدل على أن طه حسين لا تغيّره المناصب ، فيقول « ومن رسالة طه حسين هذه ندرك أن مشاعره كانت مشاعر الأديب الطلق الروح وليست مشاعر الوزير المقيد المطلق » .



وقد حركت رسالة طه حسين ، توفيق الحكيم ليكتب رداً مطولاً فى ست صفحات من القطع الصغير يشكو فيه حال الأديب فى مصر والذى لا شيء يحميه إلا انتسابه للصحافة حتى بات الخلط واضحاً بين الأديب والصحفى ، ثم يتحدث عن نشاطه كمدير بدار الكتب والتى نلح من خلالها لأول مرة ملمحاً من ملامح شخصيته الإدارية أشرف على إخراج كتب الأدباء الأقدمين قائلًا فى سخرية « لست اليوم بمؤلف ولكنى مخرج! » على أن أهم قضية فى الرسالة هى قضية « تفكك المثقفين » وغياب دورهم ، الذى انعكس فى أزمات مر بها الصديقين .

ولنقرأ نص رسالة الحكيم التى تحمل روحه الساخرة التى انعكست على كل مؤلفاته :

القاهرة فى ٦ أغسطس ١٩٥١ .

صديقى الجليل

ما اسعدنى بذلك الخطاب الذى تفضلت فارسلته مع الطائفة والنسيم
من شمال ايطاليا ليلحق بى فى ميدان باب الخلق (حيث دار الكتب) ..
وامانى بعبيره اللطيف وتعبيره الجليل فى وقت الظهيرة بالضبط ..
عرفت ذلك لا من اشتداد القيظ ولا من دقائق الساعة ، ولكن من رائحة
الشنواء تصعد الى نافذتى ، على العادة فى مثل ذلك الوقت ، من
« كبايجى الكتبخانة » .. !

وهذا المطعم ليس بلطبع تابعاً للدار . فما هو غير واحد من
عشرات المحال والحوانيت التى تحمل اسم دارنا العتيقة . فهذا حلاق
« دار الكتب » وهذا طرابيشى دار الكتب .. وهذه صيدلية دار الكتب
.. وهذه قهوة دار الكتب .. الخ .. الخ .

فدار الكتب كما لاحظت مع العجب والاعجاب لها شخصيتها الفريدة
فى ذلك المكان .. على نقيض جارتها وشريكها فى البناء وأغنى دار
الآثار .. فهى مع التصاقها بدار الكتب من قديم .. منذ نحو نصف قرن
من الزمان لا يكاد يعترف بوجودها أحد من أهل الحى أو تجار الميدان .
فما رأيت قط حائوتاً يحمل اسم دار الآثار حتى ولا حائوت كباب ! ..

هذه الجارة المغمورة الحائرة قد آن لها ان تترك لنا حيزها الضيق
نتنفس نحن فيه ، وتسمى هى الى حظ اوفر وشهرة اوسع فى حى
آخر ! ..

على ان لدار الكتب ذكريات أدبية تروى كما تروى الأساطير عن
حافظ ابراهيم يوم كان وكيلا لها واتخاذها مقراً لعمله الرسمى وغير
الرسمى تلك القهوة التى تحمل اسمها .. يجتمع فيها باخوانه من أدباء
العصر البوهيميين أمثال امام العبد ، والبشرى ..

كان حى باب الخلق فيما ارى .. « مونمارتر » (*) أدباء مصر
وشعرائها ! هل لنا ان نتحصر على ذلك العهد ؟ أو ان من الخير للأدب
والأدباء ان تقوم بينهم الحواجز القائمة اليوم فلا لقاء ولا مراسلة
ولا تعاون ولا تساند ..

(*) حى أدبى فى باريس .

وهل يستطيع الأدب الفرنسى مثلا أن يبلغ مكانته هذه بغير هذه الدولة التى استطاع أن ينشئها لنفسه ؟

أن دولة الأدب الفرنسى كيان ذو خطر فى قلب الأمة الفرنسية . دولة معنوية روحية لها تقاليدها وحقوقها وواجباتها . نهى حاملة الثروة الفكرية القومية من جيل الى جيل . لذلك نسمع فيها دائما رنين عملتها التى لا تقوم بذهب ! فمحافظو هذا المصرف الخالد وسدنته وحراسه ينتهزون كل فرصة لمراجعة رصيدهم .. ما من اديب أو مفكر أو شاعر يمضى على وفاته أو ميلاده مدة حتى يجتمع الأدباء فى النوادى والجمعيات بل أحيانا فى المقامى والمطاعم يذكرونه ويعددون أعماله .. بل انهم أحيانا يجتمعون للاحتفال بهرور كذا من الأعوام على ظهور هذا الكتاب أو ذلك الأثر .. مما يرونه قد اضاف ثروة الى ادبهم القديم أو المعاصر . بمثل الاجتماع وهذا التنظيم استطاع الأدب فى فرنسا وفى انجلترا وفى ألمانيا وغيرها من الأمم ذات الثقافة الممتازة أن يكون له وجود قائم بذاته غير متعلق بأذيال الصحابة .

أما فى مصر فالأدب الذى كاد ينجح منذ ربع قرن فى تكوين شخصيته المستقلة المرموقة بالتقدير والاحترام قد تفككت اليوم حلقاته وتشتتت جموعه ، لم يجد له هيئة ينتسب اليها غير الصحفيين لقوتهم وتساندهم وتجمعهم تحت سقف نقابة وبيت . حتى أصبحنا وإذا الناس لا يفرقون فى مصر اليوم بين الأديب والصحفى ؟

ويا لها من كارثة ! .. نعم هى كارثة لا بد لها من درس وبحث وعمل حاسم .. ومن الخير المبادرة بالتفكير فى بحث نادى القلم وتنظيمه على أساس جديد ! .

أما عن حالى فهو مستغرق كله فى عملى بدار الكتب . كل همى هو علاج ذلك الأمر الذى يدهشنى ويدهش الكثيرين : البطء فى اخراج الأغاني (*) .. فالجزء الثانى عشر لم يظهر منذ تسع سنوات .. لماذا ؟ لأن كل جزء يعهد به الى مصحح واحد .. ويكفى أن يكسل هذا المصحح ليكسل معه كل مصححى الأجزاء الأخرى ، انتظاراً لنشاطه . فإذا سألنا من يحقق الجزء الرابع عشر عن عمله ؟ قال :

(*) الأغاني للأصفهاني .

وهل انتهيت من قبلى .. ومن قبله يقول ذلك عن قبله .. وهكذا
وهكذا ، ولم أر بدأ لعلاج ذلك من أن الجأ الى طريقة « توسكانيلى » فى
التدريبات الموسيقية .. كان يحمل فى آن واحد بكل مجموعة على اجادة
ادائها . فالآلات الوترية والآلات النافخة ، والآلات النحاسية ..

كل مجموعة منها يجب ان تتدرب على العمل فى نفس الوقت ..
كذلك قسمت المصححين الى مجموعات .. كل مجموعة مسئولة عن
انجاز جزء تحت اشراف مراجع ..

وبهذه الطريقة أمل أن يخرج للناس فى الشتاء القادم باذن الله ثلاثة
اجزاء من الاغانى دفعة واحدة .. هذا فضلا عن ظهور المصحف
الشريف ، والجزء الاول من فهرس مصر ، وفهرس المخطوطات ،
ومؤلفات اخرى ذات قيمة .

أما عن عملى انا فلا شيء .. لا لأن الوقت يعوزنى . بل لأن الذى
يعوزنى هو الجو ! لا يوجد فى مصر الآن ما يمكن أن يسمى بالجـو
الأدبى .. لدينا الجو السياسى ، والجو الصحفى ، والجو الغنائى
والسينمائى .. أما الجو الأدبى فمن الفتور — ان وجد — بحيث يعجز
عن اثارة النشاط ويحث الهمم . لا فقط من الناحية المعنوية بل من
الناحية المادية ايضا . فما من ناشر الآن يقدم على شراء كتاب .

ان الكتاب المصرى ايضا فى خطر ، فهو بالطبع تابع للأدب . وازمة
هذا من ذاك .. باستثناء تلك البدعة الجديدة التى ظهرت الآن ويسمونها
الكتاب الشهرى . وهى سلسلة كتب صغيرة تصدرها دور الصحف
الكبرى ، متعقبة الأدب والادباء لتقضى على آخر مظهر لاستقلالهم وهو
الكتاب ! ..

نعم .. لا اجد متعة الآن فى اخراج كتب لى ، ولكنى اجد المتعة
فى اخراج كتب لآخرين .. وان كانوا من الادباء الاقدمين . لست
اليوم بمؤلف ولكنى مخرج ! وعلى ذكر الاخراج ننتظر عودة معاليك
لبحث المشروعات السينمائية ..

وفي الختام ارجو لكم والسيدة الكريمة وللمؤنس أوفر محبة وأتم
عافية واكمل هناء وصفاء وسرور ، والله أسأل أن يتعنا بعودتكم الميمونة
تربياً .

ولكم منى ومن الوطن الذى ينزلكم اسمى منزلة من تقديره ، أصق
التحية وأعمق الود وأخلص الاجلال .

توفيق الحكيم

★ ★ ★

ثورة يوليو بين طه حسين وتوفيق الحكيم

• «نفسی لبت متفردہ ..
جہان فی فی ابطالیا ونفسی
فی مصر.»

طہ حسین

• «دکل شیء فی رأسی ونفسی
مضطربے ثائر .. وإفے لأفکر فی
کل شیء کما لو کنتے أنا المنوط به
حل الأمور ..»

توفیق الحکیم

لم يستمر طه حسين وزيراً للمعارف كثيراً وان ترك فيها أثراً بعيداً ، فقد تلاحقت الأحداث منذ حريق القاهرة حتى قيام الثورة ، فكان طه حسين بصطاف في « البندقيّة » بإيطاليا ، بينما كان توفيق الحكيم في القاهرة للصيف الثاني على التوالي ، فلم يزل « مديراً لدار الكتب » التي استمر بها حتى سنة ١٩٥٨ ، بينما كان طه حسين خارج الوزارة منذ يناير ١٩٥٢ حين خرجت الحكومة نفسها في مثل هذا التاريخ عقب احراق القاهرة ، ثم تابعت بعدها عدة حكومات اُفلت معها الاستقرار في مصر ، مما كان أحد اسباب التعجيل بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ولا شك أن كتاب مصر وأدبائها ومفكرها كانوا على موعد مع هذه الثورة لأنهم الذين بشروا بها ودعوا اليها ومهدوا لقيامها سواء بالرمز والتلميح أو بالجهر والعلانية ، فقد بلغ فساد الحكم مداه ولم يعد هناك مفر من الثورة ، أو « العاصفة المباركة » التي نادى بها توفيق الحكيم ، وان كان طه حسين أكثر أرباء جيله وعيا بما يجب أن يحدث حين كتب « المعذبون في الأرض » ، حيث اعتبر الكتاب في حد ذاته ثورة ، و تمت مصادرته ولم يفرج عنه الا بعد الثورة التي جاءت « كالنجم الصادق » كما وصفها طه حسين نفسه .

وسوف نتلقى الأصدقاء الأولى للثورة عند طه حسين وتوفيق الحكيم من خلال رسالتين متبادلتين ، لسنا في حاجة الى إعادة نشرهما لأنها منشورتين بالفعل (*) ، ولكن سنشير الى مضمونها من باب

(*) رسالة طه حسين في كتاب « وثائق من كواليس الأدباء » لتوفيق الحكيم (كتاب اليوم) ، ورسالة توفيق الحكيم في كتاب « طه حسين ومعاصروه » لنبيل فرج (دار الهلال) .

المقارنة بين موقفين لأديبين كبيرين طالبا وبشرا بالثورة ثم كانا نجمين من نجومها المكرمين .

فإذا كان توفيق الحكيم في كتابه « شجرة الحكم » ١٩٤٥ قد تنبأ « بالعاصفة المباركة » لاصلاح الفساد ، ثم دعا في نهاية الامر الى ضرورة « احداث الثورة المباركة » التى تقيم الوطن على اقدام الصحة والقوة والنظام .

وإذا كان توفيق الحكيم قد ساهم فى صنع فكر صاحب الثورة من خلال كتابه « عودة الروح » ١٩٣٣ ، والذى اعترف عبد الناصر نفسه بتأثره به حيث ساهم فى تكوينه الفكرى والوطنى ، حيث بشرت « عودة الروح » بالثورة المرتقبة وبالعظيم المعبود ، مما جعل عبد الناصر يشعر فى قرارة نفسه انه هو ذلك الزعيم المنتظر .

فان طه حسين فى كتاباته المتعددة :

- « جنة الشوك »
- « جنة الحيوان »
- « مرآة الضمير الحديث »
- « احلام شهرزاد »
- « المعذبون فى الارض »

كان يحرص على الثورة ويدعو اليها ، ولذلك حين قامت الثورة كانت فكرتها وجوهرها واضحتان لديه كل الوضوح ، ففى استفتاء أجرته مجلة « الهلال » فى عدد اول ديسمبر ١٩٥٢ (أى بعد حوالى اربعة شهور من قيام الثورة) حول « ادب النهضة الجديدة » سنجد ان عباس محمود العقاد ، يتحدث عن الثورة باسم :

« الانقلاب الجديد »

وتوفيق الحكيم نفسه يسميها هو أيضاً « الانقلاب الجديد » ، على الرغم من انه صاحب تعبير « العاصفة المباركة » ، و « الثورة المباركة » ، قبل قيامها بسنوات فى كتابه المشار اليه .

أما طه حسين فقد كان أكثر تحديداً لأنه كان أكثر منهما ووعياً
بالأحداث الجديدة فسمّاها « الثورة » ، لا يقولها عفواً ولكنه يقصدها
قصداً لغة ومضموناً وهدفاً ، حين يكررها غير معترف بتسمية أخرى
دونها ، ويمكننا أن نلاحظ عمق معنى كلمة « الثورة » ومدلولها في أول
رد فعل لطه حسين على قيام الثورة حين أرسل لصديقه توفيق الحكيم
من مصيفه بإيطاليا رسالة بعد أحد عشر يوماً فقط من قيامها مبينا أن
الأدب هو الذي هيا الأمور للثورة كي تقوم ، وسيكون له أثره في التعبير
عنها بعد قيامها .

يقول طه حسين في رسالته المؤرخة بالثالث من أغسطس ١٩٥٢ :

● كم كنت أحب أن أكون معك في مصر أو أن تكون
معي في أوربا أثناء هذه الأيام التي تنشر فيها مصر من
تاريخها كتاباً وتطوي كتاباً .

● خيل إلى أن للأدب حقه في هذه الثورة الرائعة
هياها لها قبل أن تكون وسيصورها بعد أن كانت .

● نفسي ليست مستقرة . جثماني في إيطاليا ونفسي
في مصر .



أما توفيق الحكيم فيظهر أول رد فعل له في خطابه الذي رد به
على طه حسين ، وفيه يعترف بأنه يعيش أحداث الثورة « كمواطن
مصري » ولكنه مع ذلك « مضطرب ثائر » ، أما كاديب فهو لا يستطيع
أن يكتب شيئاً قبل أن يستوعب ما جرى وما يجري من أحداث متلاحقة ،
فيقول في رسالته إلى طه حسين :

● ان أحداث مصر قد شغلتنا عن الحر والشعور بوطائنه . وهي
أحداث أجل من أن توصف في خطاب . بل اني أرى الأدب عاجزاً عن
تسجيل تلاحقها السريع .

● ان كل شيء في راسي ونفسي مضطرب ثائر .. واني لافكر في كل شيء كما لو كنت انا المنوط به حل الأمور .. فانا أعيش حياة بلاذري الآن كما يعيشها المواطن الصالح .

● اعيشها كإنسان .. وكعصري ، وارجو ان اعيشها مرة اخرى كاديب عندما يكتمل لى استيعاب أكثر نواحيها .



لقد استقبل الأدبيين الكبارين « ثورة يوليو » استقبال المنتظر لها المترقب لحدوثها ، المتوقع لقيامها ، حتى اذا قامت بالفعل حدث لكل من الأدبيين ، القلق والاضطراب ، فطمه حسين « نفسي ليست مستقرة » ، وتوفيق الحكيم « كل شيء في راسي ونفسي مضطرب ثائر » !

نفيم الاضطراب والقلق وعدم الاستقرار في النفوس والبرعوس ، ليست هذه هي الثورة التي بشر بها ودعيا اليها ومهدا لقيامها بادبها مع من مهدوا لقيامها من الأدباء ، فلماذا القلق والاضطراب ، هل كنا يتوقعان ثورة شعبية كثورة ١٩١٩ ، ثم فوجئنا بها ثورة عسكرية فحدث لها القلق وعدم الاستقرار خاصة وان ذكرى ثورة عرابي لا تزال مأساتها ماثلة في الأذهان ، قلق من الثورة ؟ ام قلق على الثورة ؟ ام هو قلق من الثورة على الثورة بما سوف تسفر عنه من نتائج لا احد يعلم الى ماسوف تؤدي اليه خاصة ان القائمين عليها مجموعة من الشباب العسكريين الذين تنقصهم الخبرة كما تنقصهم الحكمة ؟ وهل نستطيع ان نفسر قلق الأدبيين الكبارين بلجوء أحدهما فيها بعد الى الفن كتوفيق الحكيم ، ولجوء الآخر الى الصمت ، او الحوار مع قائد الثورة كله حسين ؟

نقد لجا توفيق الحكيم الى الفن فكتب « السلطان الحائر » محبذا سيادة سلطان « القانون » على سيادة سلطان « السيف » ، كرسالة الى قائد الثورة مغللة بغلاف فني عليه يختار طريق « القانون » ، كما كتب توفيق الحكيم « بنك القلق » حول ضياع الهوية بين الاشتراكية والراسمالية .

أما طه حسين وإن كان قد أثر الصمت أو المهادنة فإنه كان يتحاور مع قائد الثورة — يقول — « وقد حدثته مرة في الذين يعتقلون وتتعرض أسرهم لحياة عسرة . فقال لى : اطمئن إذا كان المعتقل موظفاً فمرتبه يصرف لأسرته دائماً ، وإذا لم يكن موظفاً فوزارة الأوقاف تكفل أسرته حتى تتاح له الحرية » (*) .

فهل كان طه حسين يضحك على الدولة بما يكتب ثقه منه في ذكاء القارئ الذى يمكنه أن يدرك مقاصد طه من كتاباته التى لم يكشف فيها عن آرائه وانتقاداته صراحة بينما السطور وما بينها توضح وتصرح حتى لو كان قد انتقل بالزمان والمكان الى أيام صعاليك العرب !

★ ★ ★

أيا كان الأمر في مصدر القلق والاضطراب الذى حدث لطه حسين وتوفيق الحكيم كأول رد فعل لهما على قيام الثورة ، فإن متابعة موقفيهما من الثورة منذ قيامها وحتى رحيل كل منهما يقتضى بحثاً آخر يستند الى الوثائق والمراجع وشهادة الشهود لانصاف كلا منهما دون تحيز أو تجاوز للموضوعية ، مع الأخذ في الاعتبار الا نطالبيهما بأكثر مما يحتمل المفكر أو يطبق البشر ، فليس من المتصور فيمن كان في مثل سنهما ومكانتهما أن يكونا من بين المعتقلين يجرى لهما ما يجرى على المعتقلين مما لم يعد سراً ، فحسبهما داعيين للثورة مبشرين بها مهدين لها ضمن من مهدوا ، وليكن بعد ذلك لغير جيلهما دور آخر ، فليس مطلوباً منهما أن يقوموا بكل ادوار البطولة ، فقد انقضى زمن عنتره ، وولى زمن أبو زيد الهلالي .

ليس هذا تبريراً ، ولكن يكفى أن يضع أحداً نفسه مكانهما ويتصور موقفهما ، لقد ساهما بالفكر والأدب في حدود دورهما في التمهيد للثورة التى انتظرها كل المصريين ، ويكفيهما هذا الدور فخراً وشرفاً لينتهى

(*) من كلمة طه حسين في تابين عبد الناصر بمجمع اللغة العربية صباح الاثنين

٥ أكتوبر ١٩٧٠ .

دورها ، ويبدأ بعد ذلك دور جديد لجيل جديد سيتمتع بإيجابيات الثورة
وعليه أن يواجه سلبياتها ، أما هنا فقد زرعنا الشجرة حتى اثمرت ،
وعلى من يقطف الثمار أن يتحمل الأثواك أو يغلب عليها .



وقد كرمت الثورة الأدبيين الكبار وعرفت لكل منهما حقه ، وقدرت
لكل منهما مكانه ومكانته الأدبية ، فمنحتها أرفع وسام من أوسمتها
وهو « قلادة النيل » ، بل وأبعد زعيم الثورة وزيراً للتعليم لم يقدر
لتوفيق الحكيم حقه فأدرج اسمه ضمن قائمة المطلوب تطهيرهم في حركة
التطهير باعتباره ليس منتجا . موصيا بأحفاده من منصبه كمدير لدار
الكتب ، غير أن عبد الناصر أعفى الوزير نفسه ، وأبقى على توفيق
الحكيم .

(٢)

كان توفيق الحكيم حريصا كل الحرص على الا يجرح طه حسين على الاقل في حياته ، خاصة بعد ان استقرت صداقتها على نحوها الوطيد مع نهاية الأربعينيات وما تلاها من سنوات .

في حوارى مع توفيق الحكيم قال لى (*) :

ان يوسف السباعى عندما زارنى لأول مرة فى دار الكتب حينما كنت مديرها ، وعرض على فكرة انشاء نادى القصة ، اراد ان اكون انا رئيسا لذلك النادى ، مع استبعاد طه حسين وآخرين كمحمد حسين هيكل ، والعقاد ، بحجة انهم فى الأصل ليسوا قصاصين على الاقل فى نظر القراء خاصة انه فى ذلك الوقت كانت الرواية او القصة قد بدأت كتيار ادبى يصل الى الجمهور ويحس به ، ومع ان د. هيكل والعقاد وطنه حسين قد ساهموا فى القصة الروائية بنصيب الا انها لم ترتبط بهم او تعتبر من اهتمامهم الاساسى المؤثر فى اجيال الشباب الذى يريد التفرغ للقصة ، فقد انشغل هؤلاء الادباء عن ذلك بالسياسة التى جرفتهم الى حد ما ، ولكننى مع ذلك رايت ان نادى القصة الذى يجمع السباعى تاسيسه من الضرورى ان يضم كل الاجيال التى ساهمت فى تاريخ القصة المصرية ولو بعمل واحد ، ورفضت ان ادخل فى نادى ادبى لا يكون فيه طه حسين بالذات ، مع الاعتذار عن رئاسة النادى فى حالة وجود طه حسين الذى رشحته لرئاسته واكتفأتى بان اكون عضوا فيه .

(*) لى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٦ .

وقد أخذ يوسف السباعي بفكرتي وعمل على تنفيذها بدقته المعهودة، ولكنه قابلني بعد ذلك ليخبرني بأن المشكلة مع بعض هؤلاء الأدباء الذين نكرتهم تقوم على الحساسية عندهم من ناحية رئاسة النادي ، فالعقاد يرفض الانضمام اذا عرف أن طه حسين هو الرئيس ، وطه حسين يعتذر اذا كان د. هيكل سيكون الرئيس ، ولذلك فقد اعتذر كلا من العقاد ود. هيكل عن الانضمام تفاديا للحرج قبل اعداد اللائحة أو القانون الذي سيسمى الرئيس والأعضاء .

ويتذكر توفيق الحكيم واقعة أخرى حين تمت دعوته لزيارة « الاتحاد السوفيتي » لحضور مهرجان يحتفل بعيد ميلاد كاتبهم « مكسيم جوركي » ، فاشتراط الحكيم ألا يكون بمفرده واقترح اسم طه حسين ، ولكنهم اعتذروا بحجة اشتراكه وزيرا في العهد السابق ، واقترحوا بدلا منه « فكري أباطة » .

وحلول توفيق الحكيم التهرب من تلبية هذه الدعوة ، فعندما جاءه فكري أباطة لترتيب السفر اشتراط عليه اخذ موافقة عبد الناصر ، لأن العلاقات مع السوفييت آنذاك لم تكن واضحة خلال الخمسينيات ، وجاءتها موافقة عبد الناصر الذي رحب باختيارهما ، ومع ذلك لم يتم السفر ، فقد اتخذ توفيق الحكيم من توقيت السفر الذي تصادف مع فصل الشتاء حجة ، فقال لهم :

ان نابليون ذهب الى روسيا شتاء فانهزم ، فكيف أسافر أنا في نفس الوقت !!



ولا نعتز لطه حسين وتوفيق الحكيم بعد ذلك على رسائل متبادلة بعد رسالتيهما المشار اليهما كأول رد فعل لقيام الثورة ، اللهم الا مرة واحدة في صيف ١٩٥٤ ، فقد وصل توفيق الحكيم الى باريس حوالى منتصف يونيه من نفس العام بعد حضوره تمثيل مسرحيته « أهل الكهف » « بالاطالية » في « بالرمو » ، فأرسل الحكيم الى طه الذي كان لا يزال بالقاهرة ، رسالة يخبره فيها بوجوده في باريس ويطلب منه

الاتفاق على موعد ومكان اللقاء في فرنسا ، ولكن رد طه حسين إبطاء
في الوصول ، مما جعل توفيق الحكيم يرحل عائداً الى مصر .

أما سبب إبطاء رد طه حسين على رسالة صديقه فقد أوضحها
طه حسين في رسالته الى الحكيم بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٥٤ ، حيث
لم يصله خطاب توفيق الحكيم الا وهو على جناح السفر ، وقد ظن انه
سيلقاه في باريس ، الا انه عندما وصلها ، وجد الحكيم قد تركها ، وفي
نهاية رسالته المنشورة (*) يقول له :

(أرجوك أن تكون راضى النفس ناعسم
البال كثير الانتاج ، ولا تعطل بالحر فقد
ينتج الحر ما لا ينتجه البارد) .

★ ★ ★

ولا نجد بعد ذلك ما يدل على اللقاء طه حسين وتوفيق الحكيم
خارج مصر وان التقيا داخلها في مناسبات مختلفة ، وان كانت مناسبة
انضمام توفيق الحكيم الى مجمع اللغة العربية لها قصة تستحق أن
تروى .

(*) في (وثائق من كواليس الادباء) .

خلاف علی باب مجمع اللغة العربیة

• « وقفناک بیابنا اکثر من عامین
تنظرات تأویف لاه ، فلم تأذن
لاه إلا بعد أن أضللت الاقطار »
طه حسین

• در بقیتے انا علمے ابتعاد محے عن
هذا الجمع الی أن فوجئت فی يوم
من أيام شهر أبريل ۱۹۵۴ بانتخابی
عضواً فی هذا الجمع . »

نوفیہ الحکیم

في مسألة انضمام توفيق الحكيم الى مجمع اللغة العربية روايتان متناقضتان
وكلتاها رواها طه حسين وتوفيق الحكيم ! .

رواية الحكيم اثبتتها في كتابه « واثق من كواليس الادباء » ، ورواية
طه حسين اثبتتها في كلمته بالجلسة العلنية التي عقدها المجمع في ١٧
مايو ١٩٥٤ لاستقبال توفيق الحكيم والتي اصر طه حسين على أن
يكون هو الذي يستقبله بكلمته ، مع أن المعتاد في مثل هذه المناسبات طبقاً
لتقليد المجمع أن يكون الذي رشح العضو هو الذي يستقبله ، وكان
الذي رشح توفيق الحكيم هو أحمد أمين أو منصور فهمي ، ولكن طه
حسين اتصل بالحكيم تليفونياً مبدئياً رغبته أن يكون هو في استقبله ،
فوافق الحكيم رغبة منه في عدم جرح احساس صديقه حتى لا يكرر معه ،
ما سبق أن حدث حين عرض عليه كتابة مقدمة الطبعة الثانية من « أهل
الكهف » .

وفي كلمته قال طه حسين موجهاً كلامه الى توفيق الحكيم :

لست أدري أيها شرف بصاحبه !

أما انت فلا أشك في أنك شرفت بدخولك هذا المجمع ، فلا أقل من
أن تعترف لنا بأننا نشرف من يضم إلينا ، ولا أدل على ذلك من أنا وقفناك
ببابنا أكثر من عامين تنتظر أن نأذن لك ، فلم نأذن لك إلا بعد أن أطلت
الانتظار ، ذلك بأن الوصول إلينا ليس يسيراً ولا سهلاً .

وأما نحن فقد شرفنا. بانضمامك إلينا . ليس في هذا شك بحال من
الأحوال » .

★ ★ ★

أما توفيق الحكيم فقد رفض أن يكون قد توقف بباب للمجمع منتظراً ،
مؤكداً أنه كان يرفض أساساً دخول المجمع كعادته في رفض التقيد بأي
حزب أو هيئة .

يقول الحكيم في روايته المناقضة لرواية طه حسين والتي سميت
عنها حتى رحيله ربما لأنه لم يرد أن يجرحه أيضاً :

« في عام ١٩٤٩ أو ١٩٥٠ فيما أذكر أخبرني صديقي أحمد أمين عضو
المجمع اللغوي في ذلك الوقت أنه بالاشتراك مع الدكتور منصور فهمي
الأمين العام للمجمع .. قد رشحاني لعضوية هذا المجمع . وذلك عملاً
بالقواعد المتبعة للترشيح ، وهو أن يتقدم به اثنان من الأعضاء العاملين .
فلم أكد أسمع منه حتى ثرت صائحاً فيه :

لماذا فطعتم ذلك ، ومن قال لكم اني أريد أن أكون عضواً في المجمع ؟

وبهت أحمد أمين . وجعلت أوضح له وجهة نظري .

وهي أنني في الأدب كما في السياسة لا أريد الانتفاء الى هيئة ترغبني
على اتباع مبادئها ، فأنا حريص على أن أكون حراً أختار لنفسى اتجاهي
.. ومجمع اللغة العربية وجد للمحافظة على الفصحى . وأنا أستخدم
العامية أحياناً في كتاباتي ، وأصطنع في الأدب الأسلوب الذي أراه ملائماً
لنوع الفن الذي أعالجه دون التقيد بمذهب ثابت .

وذهب أحمد أمين وأبلغ المجمع باعتذارى . وبدأ الامتناع — كما
بلغني — على وجه رئيسه أحمد لطفي السيد ، وقال بأسف : هذا كرسي
يسمى اليه الكبراء والأمراء . ولام بعض الأعضاء أحمد أمين لأنه أبلغني
بأمر هذا الترشيح . وقالوا له : ان هذا أمر يخص المجمع ، وكان الواجب
أن يبقيه سراً .

ويضيف توفيق الحكيم :

وقد بقيت أنا على ابتعادي كما ذكرت عن هذا المجمع الى أن فوجئت
في يوم من أيام شهر إبريل ١٩٥٤ بانتخابي عضواً في هذا المجمع . وكان
التكتم هذه المرة شديداً فلم تبلغني أية إشارة الى سبق ترشيحي الا بعد
تمام الانتخاب .

واضطر توفيق الحكيم الى قبول ترشيحه عضواً ، ولكنه بعد ذلك
لم يحضر جلساته ، وقدم استقالته منه في أخريات سنوات حياته معللاً
ذلك بظروفه الصحية ، وأن ميزانية المجمع لا تسمح له بالقيام بنشاط
حقيقي مؤثر في المجتمع .

★ ★ ★

ولم تخلو كلمة طه حسين في استقبال توفيق الحكيم من رد فعل خاصة فيما يتعلق بكرم الحكيم وبخله ، فقد نفى عنه طه حسين صفة البخل قائلا له :

فأنت تتكلف من الخصال ما ليس فيك : أنت جواد وتزعم أنك بخيل (. . . .) وكذلك صورت نفسك للناس بصورة ليس بينها وبين الحق من أمرك صلة .

وقد كرر طه حسين هذا المعنى حين كتب مطلقا على سيرة توفيق الحكيم الذاتية « سجن العمر » ناثرا ذلك على الصرامة بعد أن اذاعه على الخاصة في المجمع .

« ولست أصدق ما يردده دائما من أنه يؤثر المال الى حد البخل به . لا أصدق ذلك لأنني جربت كرمه وسخاء يده في البذل ، وقد قلت ذلك حين استقبلته في المجمع اللغوي ، وإن كان قد عتب على في ذلك بعد انتهاء الجلسة معللا عتبه بأن هذا القول قد يطمع فيه الناس ويغري به أصحاب الحاجات » !!

ولكن توفيق الحكيم ينفي ما قاله طه حسين في كتابه « الاحاديث الاربعة » حين قال :

وقد تكلم طه حسين عني منوها بكرمي ، ونافيا عني صفة البخل التي الصقت بي ، وعلمت بعد ذلك أنه أشاع أني غضبت من كلمته لاعلانه أني كريم ! » .

فهل أراد طه حسين أن يرد لتوفيق الحكيم فعلته عندما رفض ترشيحه لعضوية المجمع حين أبلغه به أحمد أمين قبل عامين من انضمامه اليه ، فأراد طه حسين في استقباله أن يعلن على الملأ أن المجمع لا ينتظر أحدا بل أن الكثيرين ينتظرون ببابه حتى يؤذن لهم بدخوله ، وإن دخول المجمع تشريف لمن ينال عضويته . وكأنه بذلك يرد على اعتراض توفيق الحكيم على ترشيحه السابق ؟!

أما حكاية بخل الحكيم فلم تكن أكثر من مجرد نكته حين ضمنها طه كلمته في استقبال صديقه حين كشف عن جوانب شاعته في شخصيته

كجانب البخل ، وهى صفات غير حقيقية أطلقها الحكيم نفسه ، أو ترك لغيره أن يطلقها عليه دون محاولة منه لنفيها أو اثبات عكسها ، حتى صارت جزءاً من شخصيته المشهورة والمعروفة لدى الناس ، ولم يكن ذلك الا من باب الدعاية التى تصنع للأديب اسماً مقترناً بصفات معينة ، كما حدث بالنسبة لتوفيق الحكيم نفسه الذى اشتهر بأنه عدو للمرأة بينما هو أكثر المحبين لها ، كما اشتهر بالبخل وهو أبعد ما يكون عنه وهو ما أحس به طه حسين ولمسه فى علاقته الشخصية به وكشف عنه فى كلمته المشار اليها موضحاً ما يهدف اليه صديقه من وراء اخفاء صفاته الحقيقية ، حين خاطبه قائلاً :

جعلت نفسك موضوعاً للتندر ، فالناس اذا ذكروك تندروا وضحكوا وسخروا أحياناً . والناس يرونك فيتندرون بك ، وانت ترضى عن كل هذا .

لماذا ؟

اتريد أن أدلك على السبب فى هذا التكلف ؟

انما هو أنك تحب أن يعرفك الناس ، وتحب أن يحبوك . والناس يعرفونك بالبخل أكثر مما يعرفونك بالكرم ، لأن الكرم شئ طبيعى لا تكلف فيه . والناس يتحدثون عن البخلاء وقلما يتحدثون عن الكرماء . والناس يتحدثون عن أصحاب السذاجة وقلما يتحدثون عن أصحاب التفكير العميق .

والناس يتحدثون عن الخائفين المشفقين الذين يعدون أنفسهم جبناء أكثر مما يتحدثون عن الذين لا يخافون ولا يشفقون ولا يخرعون لأنفسهم ألوان الخوف والاشفاق .

أنت إذن تحب أن يعرفك الناس ، وتحب أن يألّفك الناس ، وتحب أن تكون رجلاً شعبياً . وقد نجحت فى ذلك حتى كدت أن تخلق لنفسك شخصية تشبه شخصية « جحا » !!

ولست أدري ما الذى ستصنعه فى هذا المجمع ولا ما الذى سيصنع بك هذا المجمع ؟! » .

ولم يصنع المجمع بتوفيق الحكيم شيئاً ، ولم يصنع له هو شيئاً
أكثر مما تضمنته كلمته يوم استقبله عضواً عاملاً بالمجمع ، حول تبسيط
اللغة العربية تخلصاً من صعوباتها وصولاً الى التطور المرجو لها او كما
قال :

وهذا التطور سيبدأ في — رأيي — بداية لطيفة مقبولة . وهي ان
الفصحى ستحتفظ بخير ما فيها ، وستستعير من العامية خير ما فيها .
وخير ما في العامية هو هذا التمشي مع منطق اللغات الحية في البلاد
المتحضرة :

منطق الاقتصاد والبساطة والسرعة ، أي منطق العصر ، فنلغى
من الفصحى الحركات في اواخر الكلمات ، ويكتفى بالوقوف والتسكين في
أكثر الأحوال .

وكان توفيق الحكيم ينفى من هذا « تبسيط قواعد النحو واللغة
الى الحد الذي يجعل القارئ او المتكلم يستطيع القراءة بغير تعثر
ولا تفكر » . .



أما موقف طه حسين فقد كان الرفض لكل ما يبعد بالعربي عن
عربيته ، ولم يعلن عن ذلك في مصر فقط بل اعلنه في أكثر من مكان بأرض
العرب ، ومنها سوريا حين أعلن من هناك (في نص بين أيدينا غير
مؤرخ) في محاضرة له بعنوان « نحو ميسر وكتابة ميسرة » .

فقال وكأنه يرد على توفيق الحكيم بشكل غير مباشر :

أنا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشجيع اللغة
العربية ، وتصبح لغة الشعوب حقاً ، ولغة حية حقاً ، ولكن من الناس
من كتبوا في هذه الايام القربية يطلبون الغاء قواعد الاعراب ، وتسكين
اواخر الكلام لا لشيء الا لانهم لم يتعلموا اللغة العربية حين كانوا تلاميذ
في المدارس » .

وتوجه طه حسين الى العرب يخبرهم قائلاً :

« انتم كذلك بين اثنتين : اما ان تريدوا وحدة الشعوب العربية حقا وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة حراسا عليها ، مستعدين للجهاد في سبيلها بالحياة والنفوس والأموال والمنافع مهما تكن ، واذن فلا بد من أن تجعلوا لغتكم العربية التي تكون وحدتكم لغة الشعوب لا لغة الخاصة .

واما أن يكون حديثكم عن هذه الوحدة كلاما لا أكثر ، وأعوذ بالله وأعيذك من ذلك .

واذن فدعوا اللغة العربية تمت ، ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة ، وانظروا بعد ذلك اذا اراد السوري أن يقرأ لكاتب مصرى ان يترجمه الى لهجته السورية ، ويضطر العراقي اذا اضطر ان يقرأ السوري ان يترجمه للهِجة العراقية .

اختراروا فليس لكم بد من الاختيار » .

★ ★ ★

خاتمة

« لو بعثت رسالة إلى :

طه حسين اليوم أقول له فيرا :

إن كل ما سميتاه عصر التنوير في العشرينيات
والثلاثينيات قد أصبح اليوم عصر التعتيم .. »

توفيق الحكيم

ونحن نختتم هذه الفصول ، من متابعة العلاقة بين طه حسين وتوفيق الحكيم ، ينبغي أن نتوقف عند رأى كلا منهما فى الآخر ، وان لم تظلو الفصول السابقة من ذلك ، غير أننا نريد التركيز على جملة هذه الآراء مرتبطة بزمانها ومكانها .

فنحن نذكر حين اتخذ طه حسين موقفاً من وزارة الشؤون الاجتماعية ، واتخذت الوزارة ضده بعض الإجراءات العقابية لآخراجه من لجانها رداً على انتقاده لها كوزارة شغلت نفسها بالدعاية والاعلان أكثر من شغلها بمهمتها كوزارة اصلاح ، ووقف توفيق الحكيم (مدير الدعاية بهذه الوزارة) موقفاً سلبياً أغضب منه طه حسين ، ومع ذلك عادت صداقتهما فيما بعد كأقوى ما تكون الى درجة أن رشح طه حسين صديقه توفيق الحكيم مديراً لدار الكتب ، كما رحب به ترحيباً كبيراً حين استقبله فى مجمع اللغة العربية ، وشكره الحكيم على ذلك ، غير أننا نلاحظ حين اتهم توفيق الحكيم على صفحات جريدة «الجمهورية» بأن حماره مسروق من أديب إسباني ، وان « حمار الحكيم » ليس من ابتكاره ، أن طه حسين التزم الصمت فلم يتدخل (على كثرة تداخلاته ومشاركاته فى مثل هذا النوع من المعارك والانتهاكات الأدبية) ليدافع عن صديقه توفيق الحكيم ، او على الأقل ليدلى بدلوه فى قضية السرقة الأدبية المثارة ضد صديقه ، بل ان طه حسين حينما كان الصحفيون يسألونه لم يكن يجيبهم ، معتذراً بأن توفيق الحكيم يعرف رأيه !

فهل كان هذا الصمت مقصوداً من طه حسين رداً فى نفسه على الأقل ، على صمت توفيق الحكيم منه يوم وقف منه موقفاً سلبياً فى معركته مع الوزارة التى كان الحكيم نفسه مديراً بها ؟

ان توفيق الحكيم فيما يبدو ، هو الآخر لم ينس لصديقه هذا الموقف ، وروى لى فى حديث معه (*) عن واقعة ظاهرها برىء ، وباطنها أبعد ما يكون عن البراءة ، فقال :

« ان كتاب طه حسين « مع المتنبى » قد أحدث الكاتب الأديب « محمود شاكر » بشأنه ضجة فى الصحف متهما طه حسين بأنه نقل كتابه عن كتاب آخر عن المتنبى لمستشرق اسمه « بلاشير » ، وقد التزم طه حسين الصمت وقتها ، ويبدو ان هذه المسألة كانت سبباً فى أن « اليونسكو » لم يدع طه حسين الى حفل أقيم فى باريس ، دعيت انا اليه ، ولم يدع طه حسين اليه ، رغم انه كان فى ذلك الوقت فى باريس لحضور مؤتمر لليونسكو ، ولما اكتشفت أن طه حسين غير مدعو الى نفس الحفل الذى دعيت لحضوره ، اعتذرت عن قبول الدعوة . (وكنت فى باريس آنذاك) بحجة اننى مضطر للسفر الى القاهرة لظروف خاصة ، ولم اخبر طه حسين بذلك ابداً حتى لا أجرح مشاعره . »



فهل كان تذكر توفيق الحكيم ، لواقعة « المتنبى » و « طه حسين » و « بلاشير » و « محمود شاكر » ، مقصودة كرد فعل نفسى على موقف طه حسين منه حين اتهم بسرقة « الحمار » ، وموقفه منه ايضا حين علق على مسرحية « يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم تعليقا حاداً حين قال فى حديث لصحفى شاب (*) :

« ان هذا اللون من الادب مقبول فى اللغات الأجنبية لانه ينتهى الى فلسفة عليا ، واما الى التسلية والضحك ، اما فى اللغة العربية فلم اقرأ شيئاً ذا بال ، اما رأيي فى « يا طالع الشجرة » ، فان هذه

(*) فى ٢٠/١٢/١٩٨٦ .

(*) مأمون غريب الأديب والناقد المعروف الان الذى استنفره عدم ترحيب الحكيم للادلاء بحديث له ، فذهب الى طه حسين ونجح فى الحصول على حديث منه انتقاماً من توفيق الحكيم .

المسرحية كلام فارغ ، فمسرّح اللا معقول في العالم كله لا يبعث على الضحك ، وكذلك مسرحية الحكيم لم تضحك أحداً » .

واضاف « ان حرص الحكيم على ان يأتي بأشياء غريبة هو الذى دفعه الى هذه المحاولة ، وبإخلاص .. فهذه المسرحية نوع من الهذيان العقلى .. وهى تجربة كما قلت فاشلة ، والدليل على فشلها ان الحكيم عدل عن هذا الاتجاه فيما بعد » .

★ ★ ★

فهل كانت بعض آراء طه حسين المنشورة ، والتي تعكس موقفاً سلبياً من توفيق الحكيم كمبدع ، كما رأينا في موقفه من « يا طالع الشجرة » ، وكما سنرى في حديث لطله حسين مع وفد من الأدباء نشره الملحق الأدبى « للأخبار (*) » وجاء فيه كلام عن بخل الحكيم ادرك طه حسين بنفسه أنه « سيزعل منى » ، وهو ما حدث بالفعل حين نقل ثروت أباطة رد فعل الحكيم الى طه حسين بعد نشر الحديث ، فجاء رده ان حديثه قد تم تحريفه !

فهل كانت بعض آراء طه حسين هذه قد أحدثت لدى توفيق الحكيم ضيقاً نفسياً أراد الرد عليه حتى بعد أن رحل طه حسين عن دنيانا ، فنجد في حديث له باحدى الصحف (**) ينفى عن طه حسين انه كان أول من نادى بمجانبة التعليم ، وينسب الى نفسه هذا الفضل حين يقول :

« خضت بنفسى سنة ١٩٣٤ ، معركة مجانبية التعليم ! ، وان كنت لا اذكر الآن تفاصيل القضية التى خضتها ! ولكنى اذكر بالتحديد انه كان هناك نوع من المجانبية فى ذلك الوقت أى عام ١٩٣٤ ، كان هناك نوعان : الأول مجانبية التفوق ، والثانى مجانبية الفقر ، الاولى تمنح لمن يتفوق فى التعليم ، والثانية لمن حضر شهادة فقر ، وكانت هناك درجات من المجانبية : نصف مجانبية ، وربع مجانبية ! ومجانبية كاملة ، ولكن كل

(*) ١٩٦٩/١٢/٧ نقلا عن « طه حسين يتحدث عن اعلام عصره » للدكتور محمد الدسوقي - دار المعارف .

(**) مع يوسف القعيد فى مجلة المستقبل أول يونيو ١٩٨٥ .

ذلك نسي تماما ، ولا نذكر الآن سوى مجانية يوليو ، والبعض يتحدث
عن مجانية طه حسين ! » .



ولا أحد يذكر لتوفيق الحكيم انه خاض معركة من أجل مجانية
التعليم ، فما بالك بتوفيق الحكيم نفسه الذي لا يذكر تفاصيل معركة
تجعل له السبق على طه حسين ، فليست هذه بالقضية التي يمكن
له ان ينساها خاصة وأنه مثلا يذكر في « سجن العمر » تفاصيل من
الزمن البعيد ، وفي كتابه الآخر « وثائق من كواليس الادباء » ، يؤرخ
بالكلمة والوثيقة لمعاركه في الصحف عن المرأة والنظام البرلماني .. الخ .
لذلك يضبح حديث توفيق الحكيم عن معركة خاضها من أجل مجانية
التعليم لا مجال له من الصحة لأنه لا يقوم على قدم ولا يستند الى دليل ،
ومن ثم يصبح الحديث في مثل هذا الموضوع محاولة لانقاص فضل طه
حسين ، وهو ما لم يجرؤ توفيق الحكيم على القول به في حديث داخل
مصر وانما في مجلة تصدر في الخارج لا يدري بها الا القليل في اضييق
نطاق ، ذلك لأن قضية مجانية التعليم قد حسمها التاريخ وسجلها
لصالح طه حسين ، ولا يستطيع توفيق الحكيم في كتابه « مصر بين
عهدين » ان يطرح قضية سبقه الى خوض معركة مجانية التعليم ،
حين ينتقد (شعاع ذلك الصديق عن التعليم الذي كالماء والهواء ...

لم اتحمس لذلك الشعاع ، اذ وجدته مفتقرا الى الدقة والعمق ..
فالماء والهواء يشترك فيهما الحيوان مع الانسان .. ولذلك فضلت عليه
شعاعا آخر هو : « الطعام لكل فم وعقل » ، لأنه يميز الانسان عن
الحيوان .. فالطعام للانسان مختلف عن الطعام للحيوان .. ونوع
الطعام يميز الشخصية عند الانسان .. واذا كان المقصود بالتعليم الذي
كالماء والهواء هو محو الأمية عند الجميع ، فما قيمة محو الأمية الأبجدية
مع بقاء الأمية العقلية ؟ .. محو الأمية العقلية يحتاج الى طعام عقلي
لا بد من اختياره بدقة واعداده بعناية . لقد انتشر التعليم الذي كالماء
والهواء بالمجانبة ولم يتغير شيء كثير في عقلية الأمة .

الذى كثر عدده هو مكاتب الموظفين الذين لا يفتجون شيئاً يرقى بعقلية الأمة . كما أصبح التعليم مجرد الحصول على شهادة للحصول على وظيفة ، لا شأن له بالتكوين الثقافى للعقلية والشخصية » .

ونتساءل اذا كانت الفكرة نبيلة فما ذنب طه حسين فى تطبيقها ، اننا نلاحظ ان انتقادات توفيق الحكيم لطه حسين كشخصية ومواقف وقضايا لم تظهر الا بعد رحيل طه حسين ، وهذه خاصية لا ينفرد بها توفيق الحكيم وحده ، فقد سبقه اليها طه حسين نفسه حين انتقد فى ندوة تليفزيونية (ضمت ادباء مصر) مذاعة ، عبقریات العقاد وقال :

« قرأت هذه العبقریات واعترف بأننى لم أفهم « عبقرية عمر » ولا « عبقرية الصديق » واستغربت فى « عبقرية محمد » لأنى وجدته يوازن بين واقعة « بدر » وبين وقائع نابليون ، ولا علاقة مطلقاً بين جيش لم يكن يبلغ ألفى مقاتل وبين جيوش بونابرت الهائلة !

فقد جاء انتقاد طه حسين للعقاد بعد وفاته أيضاً ، وجاء بعد أن كان قد بايع العقاد بامارة الشعر بعد وفاة شوقى بعامين ، ١٩٣٤ .

ومهما يكن من امر فان للنفوس البشرية اسرارها ومكنوناتها ، فالادباء بشر يسرى عليهم ما يسرى على البشر . فى هذا الاطار فقط يجب ان نأخذ ما قالوه عن بعضهم البعض احياء وأمواتاً ، فى حجه الطبيعى دون تهويل ، فهذه تعليقات نفوس تسر احيانا وتغضب احيانا أخرى ، وتستوى احياناً وتتقلب احياناً أخرى ، ولا يبقى لنا من هؤلاء الادباء الا ما يجب ان نحتذى به فى علاقاتهم الانسانية السامية وادبهم الرفيع ومعالم التنوير التى تركوها لنا لنهتدى بها .



ورغم ما قاله توفيق الحكيم مما رصدنا بعضه ، فى حق طه حسين ، وهو ما لا يشغلنا كثيراً او حتى قليلاً لأن جوهر العلاقة بينهما كانت اقوى واعمق فى دلالاتها من كلمات عابرة قالها هذا فى حق ذاك فى ظروف

معينة نقول رغم ما قاله الحكيم في حق صديقه طه حسين، إلا أنه في مرات أخرى كان منصفاً، ولعل هذا الإنصاف هو التعبير الحقيقي عن مشاعر توفيق الحكيم تجاه صديقه طه حسين الذي يقول عنه (*) :

« انه يحب التفكير العام الواضح ، والحديث السلس النفاذ ، ولا يحب التركيبات العميقة في الفكر والفن ، وعبقريّة طه حسين في حياته أكثر منها في كتاباته ، وكثيرون يستطيعون أن يكتبوا ما كتب طه حسين ولا يكونون مع ذلك طه حسين لأن طه حسين في الحقيقة هو شخصية واشعاع أكثر منه ابداع » .

ورغم ما في هذه الكلمات من غمز ولمز إلا ان توفيق الحكيم يرى في طه حسين صرحاً فكرياً يؤهله ويرشحه لجائزة نوبل كمستحق لها عن جدارة واستحقاق، فيقول في نفس الحديث المشار اليه :

« لو ترك لي الخيار لرشحت د. طه حسين لهذه الجائزة ، فهو في نظري يستحق نوبل لاعتبارات كثيرة ، منها انه رجل ضرير استطاع أن يخرج من البيئة الدينية التي نشأ فيها الى أوربا ويعمق تفكيره ويقيم جسراً ثقافياً بين الأزهر والسوريون ، فلقد كان يتوجب على الغرب أن يقدر هذا الجسر فضلاً عن الصرح الفكري الذي شيده انسان ضرير ، ثم ان طه حسين كان مناضلاً ، لقد جاهد من وجهة نظر انسانية ضد الظلام وابدع ، أجل كان يستحق فعلاً جائزة نوبل للاداب » .



ولما كان عميد الادب العربي قد رحل دنيانا ، ومصر والمغرب مشغولون بعبور الهزيمة الى النصر في حرب اكتوبر — رمضان ، فان توفيق الحكيم لم ينس وداع صديقه الكبير في كلمة موجزة مؤثرة نشرها في « الأهرام » في اليوم التالي ٢٩ اكتوبر ١٩٧٣ ، لوفاة الاديب الكبير جعل لها عنواناً رائعاً :

« فارق الحياة بعد أن فارق اليأس روح مصر » .

(*) في حديث لمجلة الوطن العربي في ٨ يونيو ١٩٨٤ .

أوجز فيها وجمع تاريخ علاقته بطه حسين فقال :

« فجيعة كبيرة .. فجيعة الادب العربى فى عبيده العظيم »
وفجيعتى اكبر فى اخ قديم كريم . واذا كان اللسان العربى منذ نطق
ادبا سوف ينطق الى آخر الدهر باسم طه حسين وفضله على لغة
العرب ، فان لسان القلب لن يكف عن ترديد ذكراه ما بقيت على قيد
الحياة . فقد جمعنا اجمل ايام العمر كما جمعنا الفكر على صفحات
كتاب .

انك ايها الصديق العزيز اذ تعبر الدار الفانية الى الدار الباقية
انها تعبرها بنفس مطمئنة راضية بعد ان عبرت بلادك الهزيمة ، ان
روحك العظيمة لم تشأ ان تفارق جسدك الا بعد ان غارق اليأس روح
مصر .

اللهم اغفر برحمتك الواسعة ابنا لمصر من اعظم ابنائها الذين ادوا
لها من الخدمات ما سيبقى منقوشا فى سجل الخلود » .



وعلى ندرة مشاركة توفيق الحكيم فى الحياة الاجتماعية من تهنئة
لعزيز ، او تعزية فى قريب او صديق ، فانه حرص على ان يكون اول
المتصدرين لجنائز الفقيد العظيم .

وحين سؤل (*) عن مضمون رسالة الى صديقه يمكن ان يبعثها
الى طه حسين فى العالم الآخر ، قال توفيق الحكيم ملخصاً الصورة
بين عصر طه حسين وعصر ما بعد طه حسين « لو بعثت رسالة الى
طه حسين اليوم أقول له فيها :

ان كل ما سميناه عصر التنوير فى العشرينيات والثلاثينيات قد أصبح
اليوم عصر التعتيم ، فالأجيال الجديدة لا تعرف شيئاً الآن عما سبق من
جهود فى سبيل فتح الازهان وحرية الافكار .. وأن الامية لم تعد فقط
فى الحروف الهجائية بل اضيفت اليها امية فى العقلية » !!!

(*) مجلة الوطن العربى ٩ يونيو ١٩٨٢ .

وثائق

دشمنه : ۷۸ مایور گلک

استاذنا المیزین

انظر ان ابنت ابیه جده ارساله انضا ونا
 اتمنی ان یکرهه و هذه ارسال انضاه لوفقه اکره یابین
 لکن کنت یوم البدر الماضی و بدسکندریه بجا - البدر
 و محبا فمقدته بپریرکلا - تحشی هذا کبریت لرسول
 ابیه لری آیدیه فی وانه به استعمل علی اکره
 ان اکتب شفا او ان یکره فشیخ دوه ان اعرضه
 علیه . ان فی هذا نامه لی کثیره . وانه فی هذا انضا
 قائده لی کثیره . و صیبت پریرکلا - جیا و تحضره
 فیما ظنهم . فان اری ، سیکنا - بریت کثیره ان یفشی
 انی بآشیاء . و دربرسد . و الاری ، حق اللب ظنهم
 انما سترسل معلم و احادیث شایعه . ام ان هذا
 عل لحویل و لا یفشی و ؟ سنکلم فی هذا عند الحادیث .
 و قد ظنهم نظام الملک انضایه لصفی هذا عالم فلان
 مدعیه ابازة تبدأ فی اول برنج و شفا و با برنج
 أربعه یوما آری ان اکتب فی شفا فضا مدی الاماره
 و ارید ان یفشی ف الاکسنت و خافه هرقه ، فاذا

اکتب فیها : سار سنکلم فی کتبه ان سار به .

و ارید ان یفشی الکندر الحیب تحت و عیبه اعران
 کتبه

Faruk
 el Hakimi

من الحکم إلى طه ۲۸/۵/۱۹۳۳ : من المستعمل علی الآن

ان اکتب شفا لو ان لکثر فی شیء دون ان اعرضه علوه .

اور اقتبس موضوع طبعاً اور بدافعتی لفظاً
 هذه الحقوف ان تشریب لجة مجرد طبع کتاب
 بالذات لوجیه معاً ان قد نزلت من مقدمه التألیف
 فی طبعه علی ما اشار الی . مع ان لجة لم تشر
 حق التألیف . ان ما ندر لجة فیها آید کتابت
 الحماة لوجیه . لا قاعدة فی سبب قواعد کجه
 و البصاف . ان رأی بوجه هو ان اقوم
 انما نف بطور هذا کتابا لا صلت اول
 او ان ابع حق لجة بدول قنلا ان مع طبع
 الف ندر قنلا نادر من انما سرب لجة
 طبعاً لفظ هذا بطلب .

ان علی اهل من انهم سبک ندر
 ان اهل الکف یحللوا بدور رأی ککثر
 سلسل
 انما
 ندر

مشکاة خاصة بأهل الکف يعرضها المحکم علی طه فی خطاب کتبه الیه من دهمور ۲۸/۱۰/۱۹۳۳ .

Je suis vraiment peiné.
Réflexion faite, ma faute est évidente.
J. devais au moins vous consulter avant de
faire paraître mes livres.
Que pensez-vous de mon attitude ?
Ce qui m'accable encore, c'est votre gentillesse d'avoir si vite
passé l'éponge sur tout cela, avec tant de générosité.
Vous êtes au fond un grand artiste, un vrai.
J'avoue que je n'ai pas cet âme là. Je ne suis pas
digne de l'art, ni de vous.
Voici maintenant ma décision : si vous
restez fâché de moi, je renoncerais
à toute carrière littéraire.

A Vous
T. El Hakim

CARTE POSTALE

Partie réservée à la correspondance
 مخصص للتقارير

Mon cher ami,

Mon ouvrage n'a d'autre pré-
 tention que de mettre en dialogue
 la biographie du Prophète. Un
 intérêt que j'ai voulu, pour me
 rendre à l'authenticité de la figure
 historique. C'est un travail de
 "mise en scène" littéraire, si
 on peut ainsi le nommer. A Vous

2/2/1936 T. EL. H

تذكرة بريد

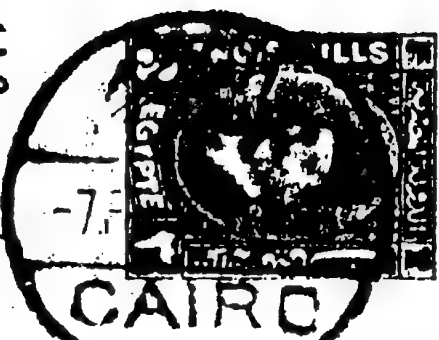
Adresse seulement
 العنوان

Dr Taha Hussein

3, rue EL Baroudi,

EL Zamalek

En Ville



كَيْدِي اسْتَذِ الْجَبِينِ طَه بِكَ حَيْدِي

عَلَيْتِ بِمَدُّ لَفْتِكُمْ (الْقَصْرِ الْمَسْجُودِ) الَّذِي تَفَضَّلْتُمْ بِأَصْدَانِي
أَنْ فَكَّرْتُمْ عَنْكُمْ ذَلِكَ الْوَلَفُ الْكَرِيمُ وَ بَدَّ شَيْءٌ عِنْدِي
فِي أَنْتِ سَأَجِدُ بِهِ طَيَّارَةً لَمَّا رَفَعَتْ شَرِي وَ يَحْفَظُ
لَكُمْ فِي نَفْسِ أَجْمَلِ الْكُرْبَانِيَّةِ - أَدَامَكُمُ اللَّهُ مَنَارًا
لِلْعِلْمِ وَ الْوَدَّعِ -
أَمِ الْكُلُومِ
أَبْرَاجِي

خطاب من كوكب الشرق أم كلثوم تشكر فيه طه حسين على إهدائه لها كتابه المشترك مع توفيق الحكيم «القصر المسحور».

العنوان التلفزيوني : سند بکول بمهر

تلفون رقم { ٥٤٤٠٠٠ }
٥٤٤٠٠٠

٤٧
مع مارس

سارع قهرالیکون رقم ٣٦

حقة صاحب السادة استاذنا الکر بمنحة العلم والادب
الکرندر لهره صني کبه

عدت سه حلوان بند سابع لحوال قفینک مستشفيا وقد حقت عنی اللہ، وکلا
فم تزل وشعر بضعف مازل شديدا خشي الا يمکتی سه التشریف بزيارتکم يوم الاحد
القادم فاعذر علی کف شديد منی وککتی اذا شعرت بتحسن لم احرم نفسي
نفع اللہ من شوقی الیکم وعرف انکم ستغفرون لی کله الناجاة
ارجو تقديم احترامی الخاص لحقة السيدة الفاضلة ام فاطمة وحمليکم وتحياتي لتعليمکم
النجيبين الانبئتي ولافرف بين الکر وادشي ذمما وثقافة ولوحة اخلاق ثم اکرر
مستنازا الابر آیات ودي واجلای ک النخلص خليل مطران

اعتذار من خليل مطران إلى طه حسين علی عدم زيارته بسبب مرضه . .

الأدب المنفى!



نزيه المهدي

لم تنفقه سلطة من السلطات ، ولا هيئتين الهيئات .. ولكنه انفى نفسه بنفسه بعيدا عن بلده .. إذ شعر أن بلده لم يعد في حاجته إليه .. فقد اعتصر هذا البلد خير صوره الذي عفى ، وجهه الذي انقضى ، كما يتصر الكرم اللبيب المريق ويسكب روحا صافيا ، ونورا نقيا في نفوس الناس .. ذهب إلى بلاد تعرف قذرة وفصله .. وتترك أنها في حاجة إلى علمه وأدبه .. حاجته لا تنتهي ولا تزول .. لانهم في تلك البلاد لا يعرفون حلا للمشغل والطمع .. ولا يقيمون سدا لدرجة العلماء والأدباء .. لقد دعته جامعه مدريد ليقبى فيها سلسلة من المحاضرات .. ثم دعته جامعه السوربون ليحاضر طلابها طول العام .. هذا ماوافقتا به اختيارا ابنا. الصحف .. فهو الآن قد استقر به المقام خارج مصر .. لا يتولى المؤونة إليها في الذريب .. وربما وجد من عنياه القوم به هناك .. مايسيه علم المراتة التي ذاتها من احوال قومه صاندة به .. وربما اقرته تلك المفخرة بالبقاء الطويل في أرض .. يزرع فيها الجبل ، ويشمر المروف ..



المنفى المنفى ..

قد عرف كيف يذكر لصاحب الفعل فضله ، دون نظر إلى أي اعتبار .. وإن فعله الساقية بها ما تلتصق من غايه .. ان لم يكن في القصور غسل مجد .. ولم يبق لنا غير قول .. فلا أقل من الملاقى الصورت عاليا ، ليصل إليه في مقام .. يدنو برد غريته ، ويخفف من لوعته .. ويؤكد له أن مصر لن تنساه ..

على أن المسألة التي يجب أن تطرح هي : من الرابع في ذلك ومن الخامس .. أما اندكوز طه حسين بك فمناقبه بخير شيئا .. فهو أيضا سار في بلاد المنور ، وجد التقدير في استقباله .. ولكن المأسر في ذلك بلاده .. فهي التي ستعرض للوم والتفريق يوم تعرف الدنيا أن مثل هذا الأدب لا يجد فارطه غير الاحمال والاعتقال .. انها صفحة لانتحب ان يسطرها التاريخ لغير في نهفتها الماخورة .. بل صفحته إنثرى كنا نود أن نكتب : هي أن هذا المعصر ، الذي ازدهرت فيه المعارف والآداب في مصر ، اصعدنا .. على الرغم من هذا

● مامن شك في أن لطفه حنين

المستعاني يولون به الآن .. استعمل من رجال الجامعة .. ومن رجال الادب .. ومن رجال السياسة .. ومن الرجال الرئيسية .. فكلنا نراهم فاعين ليشرده إن وطنه محتاج إليه ، وأنه لا يخلق غيبته المظلية ولا فيه المختار ..

أعرف أن الامر ليس بسيما .. وإن كان في المصور نوايا طيبة ، وفي النفوس شعور حسن .. ولكن لما من سبيل إلى سسفي مشترك ، وصوت متجد .. يبلغ بها ما تلتصق من غايه .. ان لم يكن في القصور غسل مجد .. ولم يبق لنا غير قول .. فلا أقل من الملاقى الصورت عاليا ، ليصل إليه في مقام .. يدنو برد غريته ، ويخفف من لوعته .. ويؤكد له أن مصر لن تنساه ..

توليق الحكيم

Le Grand Hotel

Place de l'Opéra
12, Boul'des Capucines
PARIS (8)

باريس ١٩٢٩

صديق عزيز
- لحقت كتبت لكم ، وما أن عرفت أن علي اليهود
من شمال فرنسا إلى جنوبها ، ثم الصعود من الأرض إلى
القمم ، على ارتفاع أربع عشرة ألف قدم ارتفاع ، وأن أركب
القطار ثم أشغل من الـ "كار" حتى أعودني لهدوء ...
فإن أقصى جهودى أن أذهب من القبة إلى القبة ، وأصعد
من القبة إلى القبة ... فإذا غارت بيوم وذهبت
إلى حى متطرف من أحياء باريس ، فأن أقول : اللهم
ردّ غيبتى ... وأعود حالاً إلى مقربى وأنا أشفى
الصعداء ... ثم كيف أترك باريس الآن ، وقد بدأت
المسارح تفتح أبوابها بآباء به باب ... وأخذت المسارح
البرقالية و - بلول - البحرى نظراً شاملاً في مطعم

« ملك الأصداف » في بيوت « كلبتي » .. وأنا من
 صوارة ، الطار .. لا أتعب من مدحط .. بانه وهو ..
 بفتة بكينة ، ويرصد في أطباء ، يحمل قدم الطاعم ..
 فتأخر ألقاب خلف الأطباء ، ثم قد عجب ببيع
 الزمان ...

لا .. ليس من أجل ان أنزل بارس لأن .. خصوصاً
 وان قاضي بل لا يجوز اليوم المشرقة هذا الشهر ..
 فقامي إذن أقل من أسبوعه ، أعد فيها عدد من المراجع
 إلى ... فإذا أردتم من قمر شيئاً فأنزل هذه الإشارة ..
 وثماناً أرحمكم وطعام وموتن وفريد مقاماً
 ضيقاً وعوداً حميداً .. وأن أراكم نادر هذا الزيف
 على أمت صفة وأنتم همار نازن الم راسم

تبرير

Elaphia
 Itakia

حاشية - البحار التي كفي أوصلا ليكم ؟ .. وذلك لكم في
 رتي صفة هي زجاجة ، تولد بار .. جئت لكم من مصر
 ونسيت أفرمكم بأرها ... ألتن الأوفعة أن أجعل هذه الأشياء
 في حزمة وأن أودعكم أمانة لكم عند بواب ، وتوسيد .. هل من رأيكم ذلك ؟

خطاب الأختار الواهية من المحكم إلى طه .

(٩)

Le Grand Hotel

Place de l'Opéra
12, Boul' des Capucines
PARIS (9)

باريس في ١٤ سبتمبر ٤٩

صديق عزيز

قرأت لثالث نظري ، بلدة وسرور ، ولا أرح
في نزهة بها .. فأنا ساء مستورة .. وليس من السهل
تمييز أصلا ، ونصف أهل بلدنا ولا الحمد يخافون من
العلم .. وأنا أوف في كثيرين ، يتجهون ثلث
الدرج لم ترفع ، حتى تطلع أنفاسهم ، ولا يأمنون
استخدام المصعد .. لأنهم يعتقدون أنه سيقلبت
من ضلالي ويقتل بهم في الأعمام .. أما أنا فأقسم
أن ما خفت المصعد قط يوما .. لأنني أأسكنه
في قلب الأرحام في الطابق الأول ..

حضوركم أكرم في سائر السجرات ليس من الميسور ،
لأنني فيما يبدو له أرباب لفتنة من ماسبب .. ولكنني
قد أرباب الطائفة به باري .. نعم الطائفة ! وهذا

موضع الدهشة ... أهي شجاعة مفاجئة ؟ ... لا والله ذلك ..
 إنما هي الغرورة .. غرورة عودتي إلىكم بعد انشاع
 معرفتي بـ ... لأن معرضاً ٢٠٠٢ من سيفتي في بيتي ..
 شرف في الطبيعة شارة لوجود نعم موهوب ... إن
 هذه اللوحة الأولى والصورة الأولى لنور الحياة في حياتي
 الرومية ما بيننا أحياناً كل حال لقد بسطنا ... والله
 أنا هنا ~~مستعدين~~ أمام فضاء الله ..

جعلت الجارية في حزمة ~~مستعدين~~ ورتبنا
 في هذه بواب اللوتيا .. وأتمنى لكم جميعاً إقامة
 طيبة في فرنسا ، وعودة سلمة فائقة إلى مصر ..
 وأرجو أن تكتبوا إلى دائماً بما يرضاكم ، راسل
 الله أنا جميعاً في بيروت مع برهان ، وأما يوفنا هذه
 إلى إنجاز العمل ~~الذي~~ ^{التي} أنتم ساعدتمونا به .. وأهلاً بكم
 للسلام ونحارة لجميع مع أنفسكم تباشير

سرفيسكم

سرفيسكم

رد المحكم على طه والذي يطمئنه فيه على مقاله الذي يحثه إليه لأخذ رأيه فيه فاصعاً له بنشره .

الاهيـدا

الي استاذ الكبير الدكتور طه حسين

- وما أريد أن اخفي علي صديقي الاستاذ عزيز باظه
- اني لست من الكلفين بالقصص التمثليه التي
- تعرض علي الناس شعرا في هذه الأيام • وشعرا
- عربيا بنوع خاص

هذا كلام قلته في مقدمتك لمسرحتي • غروب الاندلس • وعرفه الناس عنك •
ولكننا مع ذلك - زميلي وأنا - نقدم لك هذه المسرحيه الشعريه • شهرار •
هدية مرفوعة • وما نظن أن لك حيلة الا أن نقبلها •

ولعلك تذكر أنك منذ سنوات كتبت قصة قصيرة عن شهرزاد وأختها دنيا زاد •
وتفعلت فأهديتها الي • فظلت منذ حظيت بهذا الأيثار أحاول أن أنسرغ
لمعالجه تلك الأسطورة الرائعة ولكن شواغل الحياه تنجسم وتترادف فأهمل
وأهمل • ثم وافاني بعد ذلك صديقي الاستاذ عبدالله البشير بمسرحيه عن
• شهرزاد • كتبها بالانجليزيه ليمثلها طلبته بمعهد المعلمين فاحتشدنا
لهذا الموضوع علي بعض هديك فكانت هذه المسرحيه •

فاذا نحن اهديناها اليك • فذلك لأنك الي جانب مكانك الصامق نفسي
سماوة الأدب صاحب وحيها وباعث فكرتها •

فانظر كيف تتضائر الأسباب لتجمل حتما من الحتم أن يحمل اليك بعض ما
نكره أو علي الأقل بعض ما لا تحب •

وكأنني اشهدك الآن يا استاذي الجليل وأنت تضرب كما بكف • بل لكانني اسمعك
مخافتنا تتمثل بقول الحارث بن عباد

لم أكن من جناتها علم الله

وأنسي لحرها الموم صال

والسلام عليكم ورحمة الله

الشاعر عزيز لهاظه يهدي مسرحيته المشتركة «شهرار» معترفا باستلهاهما من قصته للقصة «شهرزاد وأختها دنيا زاد»

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	• الإهداء
١١	• مقدمة
٢٣	• طه حسين يحتفى بأهل الكهف وتوفيق الحكيم يهرب منها
٦١	• فى ضيافة شهرزاد
٧٩	• محنة توفيق الحكيم وطه حسين
١١٥	• مسجين الوزارة ومسجون دار الكتب
١٢٧	• ثورة يوليو بين طه حسين وتوفيق الحكيم
١٣٩	• خلاف على باب مجمع اللغة العربية
١٤٧	• خاتمة
١٥٧	• وثائق

منتدى سور الأندلسية

WWW.BOOKS4ALL.NET

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٤٤٥ / ٢٠٠٣

I. S. B. N 977 - 01 - 8793 - 3